

روايات محمد المجدد

رجل المستحيل

الأنفاس

106

Looloo

www.dvd4arab.com

تيسيل فاروق

المؤسسة العربية للدراسات
المؤسسة العربية للدراسات

للطباعة والنشر والتوزيع

الرياض - شارع الملك فهد - رقم 10000

١- الزعيمة ..

انطلقت طائرة خاصة صغيرة ، تحلق فوق نهر
(ريوجراتند) ، إحدى مناطق الحدود الأمريكية
المكسيكية ، وعبرته بسرعتها الفائقة ، من الشمال إلى
الجنوب ، في طريقها إلى قلب (المكسيك) ، وهي تحمل
راكبها الوحيد ، الذي بدا عليه شيء من التملل
والتوتر ، وهو يشعل سيجارته ، ويلقى نظرة عبر نافذة
الطائرة ، قبل أن يقول لقائدها في عصبية :

- إننا نتجه إلى (المكسيك) .

ابتسم قائد الطائرة ، وهو يجيبه في بساطة :

- هل نحن فوقها بالفعل .

قال الرجل في عصبية أكثر :

- ولكن أهدأ لم يخبرني أن اللقاء سيكون هناك .

هز الطيار كتفيه ، وهو يقول في هدوء :

- وهل يصنع هذا غارقاً ؟

صمت الرجل بضع لحظات ، وهو ينفث دخان

سيجارته في قوة ، ويعقد حاجبيه مفكراً في عمق ، قبل

أن يغمغم في توتر ملحوظ :

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرمز
إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة
نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛
هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو
يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى
قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة
وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة
لست لغات حية ، وبراعته الفائقة في استخدام أدوات
التنكر و(المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ،
وحتى الفواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعددة .
لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل
واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن
(أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن
جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات
العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

- كلا ، ولكن ..

قاطع الطيار في هدوء :

- ولكن ماذا ؟

انعقد حاجبا الرجل أكثر ، وهو يقول في حدة :

- كان المفترض أن يخبروني .

اكتست لهجة الطيار بصرامة مباحثة ، وهو يقول :

- كلا .. بل من الضروري أن يحدث العكس تماما ،

فالأزعيم لا تميل قط إلى كشف أوراقها .

ارتفع حاجبا الرجل ، وهو يهتف :

- الزعيم ؟

ثم عادا ينعقدان في غضب ، مع استطرده

الساخطة :

- هل سأعمل مع امرأة ؟

قال الطيار في حزم :

- وما الفارق ؟ .. ستحصل على أجر كامل ، بل

وأكد وأكد لك أنك ستحصل معها على ما يفوق أجر

المعتاد ، فهي سخية للغاية .

ورفع أحد حاجبيه وخفضه بسرعة ، وهو يضيف :

- وباهرة الحسن .

تطلع إليه الرجل لحظة في صمت ، وهو ينفث دخان

سيجارتته مرات ومرات ، ثم لم يلبث أن هز رأسه ، متمتما :

- نعم ... وما الفارق ؟

وعاد إلى صمته الطويل ، حتى هبطت الطائرة في

مطار خاص ، بالقرب من إحدى القرى المكسيكية ،

ووجد في انتظاره سيارة كبيرة فاخرة ، انحنى أمامه

سائقها في احترام ، وهو يقول :

- مرحبا يا سنيور (جيتزو) .. السيدة تنتظرك على

أحر من الجمر .

كاد الرجل يعترض ، ويشير إلى أن اسمه ليس

(جيتزو) ، إلا أنه ، ولسبب ما ، أثر الصمت ، ودلف

إلى السيارة في سرعة ، فاطلق به سائقها عبر طرقات

واسعة غير ممهدة ، تشق طريقها وسط قرى مكسيكية

تقليدية ، بمنازلها ذات الطابق الواحد ، وسكانها

البسطاء ، في ملابسهم البيضاء ، وقبعاتهم الكبيرة ،

المصنوعة من القش ..

وشعر الرجل طوال الرحلة بدهشة حقيقية ، وهو

يتساءل عما زعيم منظمة ضخمة إلى أن تتخذ

هذه المنطقة الفقيرة البسيطة مقرا لها ، إلا أنه دفن

تساؤله هذا في صدره ، مع كل مشاعره الأخرى ،

واكتفى بالجلوس في المقعد الخلفي ساكنا ، وإشغال

سيجارة أخرى ، راح ينفث دخانها في صمت ، والسيارة
تواصل به رحلتها ، التي استغرقت ربع الساعة فحسب ،
قبل أن يقول سائقها :

- لقد وصلنا تقريبا يا سنيور (جيتزو) ، وعندما
تدور حول هذا الجبل ، ستجد المنزل أمامنا مباشرة .

قالها ، وهو يدور بالفعل حول الجبل ، و...
واتسعت عينا الرجل في دهشة عارمة ، وهو يحدق
في ذلك الذي أطلق عليه السائق اسم (المنزل) ..

وخيل إليه أن هذا السائق أعشى أو مختل ..
فالمكان لم يكن أبدا مجرد منزل ، وإنما هو قصر
منيف ، رائع التصميم والتشييد ، تحيط به حديقة غناء
واسعة ، وسور مرتفع ، انتشرت فيه أبراج الحراسة ،
التي يطل من كل منها كشاف قوي ، إلى جوار حارس
ضخم ، مسلح بمدفع آلي قوي ..

والعجيب أن موقع القصر تم اختياره بدقة مدهشة ،
بحيث لا يمكن رؤيته إلا من زاوية واحدة ، وعبر
الطريق الخاص ، الذي تم شقه إليه ، على نحو يجعله
غير ملحوظ ، حتى بالنسبة لأية طائرة عابرة ، تطير
فوق المكان في ساعات النهار ، ومع ذلك البروز
الطبيعي ، عند قمة الجبل ، كان من الطبيعي أن يختفى

القصر عن الأنظار تماما ، من كل الزوايا الأخرى ..
وفي انبهار شديد ، هتف الرجل ، والسيارة تتوقف به
أمام البوابة الوحيدة ، في السور المحيط بالقصر :

- أهذا ما تطلق عليه اسم المنزل ؟
ابتسم السائق ، وهو يقول :
- الزعيمة تستخدم دوما هذا المصطلح دون سواه ..
إنها أوامرها ..

هز الرجل رأسه في حيرة ، وهو يتمتم :
- كم أتوق لرؤية زعيمكم هذه ؟
تمتم السائق ، وهو يتابع ببصره طاقم الحراسة ،
الذي تقدم نحو السيارة :

- عما قريب يا سنيور .. عما قريب .
تقدم طاقم الحراسة من الرجل ، وقال السائق في
هدوء ، وهو يغادر السيارة :

- سنيور (جيتزو) ، الذي تنتظره السنيورا .
تطلع رئيس طاقم الحراسة إلى وجه الرجل في
اهتمام ، وهو يراجع ما يراه أمامه على صورة كبيرة ،
في الملف الذي يحمله ، قبل أن يقول في هدوء مهذب :
- مرحبا يا سنيور .. هل لك أن تتبعنا ؟

غادر الرجل السيارة ، وتقدم نحو البوابة ، فأحاط به

طاقم الحراسة في سرعة ، وعلى نحو يوحى بالدقة
وحسن التنظيم ، حتى عبر البوابة ، ودخل إلى حجرة
كبيرة ، أشار رئيس طاقم الحراسة إلى جهاز في أحد
أركانها ، قائلاً :

- هل تسمح ؟

سأله الرجل في توتر :

- ما هذا بالضبط ؟

أجابه في هدوء :

- مجرد إجراءات أمنية .. اطمئن .. كل ما عليك هو
أن تسلمنا سلاحك ، وبعدها سيقوم الجهاز بكل الفحوص
اللازمة .

قال الرجل في عصبية :

- لم أعتد التخلي عن مسدسي قط .

ابتسم قائد الحراسة في هدوء ، وهو يمد يده إليه ،
قائلاً :

- مسدسك يا سنيور .

ومع قوله ، تحفز أفراد الطاقم ، وارتفعت فوهات
مدافعهم الآلية نحو الرجل ، الذي أسرع يلتقط مسدسه ،

ويناوله إلى رئيسهم ، قائلاً :

- ولكن للضرورة أحكام .

التقط رئيس طاقم الحراسة المسدس ، ووضعته داخل
درج عادي ، وهو يقول :

- لا تقلق بشأنه ، ستستعيده عند انصرافك .

ثم أشار بيده إلى الجهاز ، مستطرداً في حزم :

- والآن يا سنيور .

عقد الرجل حاجبيه في حنق ، ولكنه أطاع الأمر ،

ودلف إلى الجهاز ، فقال رئيس طاقم الحراسة في حزم :

- انظر أمامك مباشرة ، وضع راحتك فوق هذه

الشاشة الصغيرة أمامك .

نفذ الرجل ما قاله رئيس طاقم الحراسة ، الذي ضغط

زرّاً في الجهاز ، فبدأ عمله على الفور ، وتألقت الشاشة

بضوء أخضر باهت ، في حين أضىء مصباح بنفسجي

اللون أمام وجه الرجل ، الذي سأل في عصبية :

- ما هذا بالضبط ؟

أجابه رئيس طاقم الحراسة في هدوء :

- جهاز فحص أمن شامل ، ليكشف أية أسلحة

إضافية تحملها ، ويراجع بياناتك المدونة لدينا ، مثل

الطول والعرض والسمات الرئيسية ، مع فحص

لبصمات أصابعك ، ومقارنتها بالموجودة في ملفك ،

وأشعة فوق بنفسجية ، لمعرفة ما إذا كنت تخفي

ملاحك بأي نوع من أنواع التكر .

اتسعت عينا الرجل في دهشة ، وهو يهتف :

- ولماذا كل هذا ؟.. هل سالتقى برئيس الولايات المتحدة الأمريكية ؟!

ابتسم رئيس الطاقم ، وهو يقول في سخرية :

- لست أعتقد أن مقابلته تحتاج إلى كل هذا .. إنما ننفرد وحدنا بأساليب خاصة فريدة ، وزعيمتنا ترى أن الحذر أفضل من الفضل .

وراجع البيانات ، التي سجلتها شاشة صغيرة على الجسم الخارجى للجهاز ، قبل أن يقول فى هدوء :

- تفضل يا سنيور .. السنيورا ستلتقى بك الآن .

قال الرجل فى عصبية :

- عجباً !.. هل ستكتفون بهذا ؟!.. ألا تحتاجون لعيلة دم ، أو لرسم مخ مقطعى ؟

ابتسم رئيس الطاقم ، مجيباً :

- ليس فى هذه المرة .. ربما فيما بعد .

وقاده فى هدوء إلى سيارة صغيرة مكشوفة ، من ذلك الطراز الذى يستخدم فى ملاعب الجولف (*) ، وهو يتابع :

(*) الجولف : رياضة تمارس بصى دكرات مخصصة ، وتلعب غالباً فى أراض خلوية خضراء ، أو داخل مضمار ، بحيث تسقط الكرة داخل حفر عمدها ٩ أو ١٨ ، بترتيب متعشسل ، وبأقل عدد ممكن من الضربات ، والفائز هو من يحصل على أقل عدد من الضربات ، أو يفوز بأكثر عدد من الضربات .

- سأبلغ السنيورا أنك فى الطريق إليها .

جلس الرجل فى سيارة الجولف متوتراً ، وانطلق به سائقها عبر الحديقة الواسعة ، ودار حول القصر ، إلى الجانب المحجوب منه فى مواجهة الجبل ، واتجه مباشرة إلى حوض سباحة كبير ..

واتسعت عينا الرجل فى انبهار شديد هذه المرة ..

فأمامه مباشرة ، عند طرف لوح القفز ، المعلق فوق حوض السباحة ، كانت تقف أجمل امرأة رآها ، فى حياته كلها ..

تحفة من الجمال والرشاقة والنعومة ..

وبصوت خنقه الانبهار والانفعال ، هتف الرجل :

- رباه .. من هذه ؟!.. (فينوس) (*)

راقبها وقلبه يخفق فى عنف ، وهى تثب من لوح القفز فى رشاقة ، وتطير فى الهواء لحظة ، قبل أن تغوص فى مياه حوض السباحة ، وتختفى تحتها بضع لحظات أخرى ، ثم تعود إلى السطح ، فى نفس اللحظة ، التى توقفت فيها سيارة الجولف أمام الحوض ، وقال له سائقها فى احترام :

(*) فينوس : آلهة الحب والجمال والإخصاب عند الرومان .

- وصلنا يا سنيور .

التفت إليه في دهشة عجيبة ، وحدث في وجهه لحظة
في صمت ، قبل أن يهتف فجأة :
- آه .. بالتأكيد .. شكرا لك .

وغادر سيارة الجولف بسرعة ، واتجه نحو
الحوض ، في نفس اللحظة التي غادرت فيها تلك
القاتنة ، والتقطت منشفة لتجفف شعرها الأشقر
الطويل ، وهي تتطلع إليه ، قائلة :
- مرحبا يا (توماس) .. هل كانت رحلتك إلى هنا
جيدة ؟

خاطبته باسمه الأول ، ودون القاب ، كما لو أنها
تعرفه منذ فترة طويلة ، فمد يده ليصافحها ، وهو يجيب
في صوت مضطرب مبحوح :
- كانت رائعة يا سيدتي ، ولكن أروع ما فيها هو
رؤيتك .

ابتسمت في شيء من السخرية ، متجاهلة يده
الممدودة إليها ، والتقطت علبة سجائرهما ، ودست
سجارة طويلة رفيعة في ميسم من الذهب ، وضعت بين
شفتيها ، قائلة :

- (توماس كلارك) .. هذا اسمك بالكامل . أليس كذلك ؟

ضايقه أنها لم تصافحه ، ولكنه طرح هذا الشعور في
سرعة ، وهو يلتقط قذاحته ، ليشتعل سيجارتها ، قائلا :
- نعم يا سيدتي .. هذا اسمي ، الذي يخاطبني به
الجميع ، أما الأصدقاء ، فيخاطبونني باسم (توم)
فحسب .

نفث دخان سيجارتها ، وهي تقول :
- حسن يا (توم) .. أديك فكرة عما طلبت حضورك
من أجله ؟
هز رأسه نفيا ، وهو يجيب :
- مطلقا .

أومات برأسها متفهمة ، واتجهت نحو القصر ،
فتبعها في صمت ، وأبهرته تلك الديكورات الفخمة
داخله ، وقال في اهتمام شديد ، وهو يشير إلى لوحة
كبيرة ، تحتل واجهة أنيقة :
- إنها واحدة من لوحات (بول سيزان) (*) .. أليس
كذلك ؟

(*) بول سيزان : (١٨٣٩ - ١٩٠٦ م) : مصور فرنسي ، مكثته
رفيعة في الفن الحديث ، ساعده أستاذه (بيسارو) على عرض بعض
أعماله في معرض التائيين الأول ، عام ١٨٧٤ م ، ويمتاز بألوانه الحية ،
وتصفه في تحليل الظل والنور .

التفتت إليه في دهشة ، ثم ابتسمت في سخرية ،
قائلة :

- عجباً !.. لديك خبرة جيدة بالفن يا (توم) ، على الرغم من أنني كنت أتصور أن الذين يمتهنون مهنتك لا يهتمون بمثل هذه الأمور في المعتاد .

انعقد حاجباه ، وهو يقول في صرامة :

- لقد تطورت المهنة كثيراً يا سيدتي ، في الآونة الأخيرة .

واصلت طريقها ، وهي تقول في لا مبالاة :

- أعلم هذا ، وإلا ما اتصلت بك بالتحديد .

قادت إلى حجرة مكتب كبيرة ، واتخذت مجلسها خلف مكتب ضخم ، وهي ما زالت ترتدى ثوب الاستحمام ذا القطعتين ، وأشارت له بالجلوس ، مستطردة :

- ولكن السؤال هو : إلى أي مدى بلغ هذا التطور ؟

اتخذ مجلسه بدوره ، وهو يسألها :

- ما المدى الذي تتوقعينه ؟

قالت في سخرية ، وهي تنفث دخان سيجارتها :

- أكثر مما تتصور .

ثم تراجعت في مقعدها ، مضيفة في جدية واضحة :

- قديماً ، كان القاتل المحترف يعمل منفرداً ،

ولا يختار زبائنه ، بقدر ما يختارونه هم . كما كان يضيع وقتاً ضخماً في إجراء اتصالاته بهم ، حتى يحصل على المعلومات اللازمة في سرية تامة ، ويتململ نقوده دون مخاطر ، بعد تنفيذ المهمة .

وارتسمت على شفيتها ابتسامة ساخرة ، قبل أن تضيف :

- أما الآن ، فالأمر يختلف تماماً .

أوماً (توماس) برأسه موافقاً ، وهو يفهم :

- هذا صحيح .

استرخت في مقعدها ، وتابعت في هدوء ، وكأنها لم

تسمعه :

- أنت يا (توماس كلارك) ابتكرت شكلاً جديداً

للمهنة .. اتحاد القتل المأجورين .. فكرة رائعة ، تشف

عن عبقرية حقيقية ، وروح ابتكار نادرة .

غمغم ، وهو يتطلع إليها في اهتمام :

- أشكرك .

أومات برأسها رداً على كلمته ، واستطردت دون

انقطاع :

- ولقد أعجبتني الفكرة كثيراً في الواقع ، وجمال

بخاطري أن تنظيماً كهذا ، يستحق أن يعتمد عليه المرء

في أمور شتى . ولكنني أردت معرفة بعض التفاصيل عنه أولاً ، ورأيت أن أفضل من يمكنه أن يمدني بهذه التفاصيل ، هو رئيس التنظيم ومبتكره ، ولهذا طلبت حضورك إلى هنا ، ونقدتك مليون دولار كدفعة أولى ، قبل حتى أن نعقد الاتفاق بيننا .

اعتدل (توماس) في مجلسه ، قائلاً :

- هذا بالضبط ما جعلني أوافق على الحضور إليك شخصياً : فقد أدهشني أن يدفع شخص ما مليون دولار نقداً ، دون أية التزامات ، قبل أن يعقد اتفاقاً واضحاً ملزماً ، مع الطرف الآخر .

ابتسمت في خبث ، وهي تقول :

- يمكنك اعتبار المبلغ مجرد عربون صداقة ، أو إثبات لحسن النوايا .

تطلع إليها بضع لحظات في صمت ، والحيرة تملأ نفسه ، قبل أن يميل إلى الأمام ، ويسألها مباشرة :

- ما الذي تريدينه بالضبط يا سيدتي ؟

أشارت بيدها في هدوء ، قائلة :

- لقد سمعتني .. أريد معرفة كل التفاصيل .

حدجها بنظرة شك وحذر ، قبل أن يحسم أمره ، ويتراجع في مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، قائلاً :

- فليكن يا سيدتي .. سأخبرك بكل ما أعرفه .

أشارت بيدها ، قائلة :

- خاطبني بلقب سنيورا ، فالجميع هنا يستخدمون هذا اللقب .

أوما برأسه إيجاباً ، وقال :

- فليكن يا سنيورا .. سأخبرك بكل شيء .

وصمت لحظة متحنناً ، قبل أن يقول في جدية :

- نحن عشرة من المحترفين ، نعمل بأحدث الوسائل المعروفة ، عبر شبكة خاصة ، هي الأولى من نوعها ، وفيها لا يوجد احتكاك بيننا وبين العملاء ، إلا فيما ندر ، فنحن نتلقى المعلومات الخاصة بالشخص المراد التخلص منه بوساطة الفاكس ، أو شبكة الكمبيوتر المفتوحة ، ونجتمع لدراسة الموقف معاً ، وفي اجتماعنا تتم مراجعة كل الأمور الخاصة بالهدف .. بياناته الشخصية ، حالته الاجتماعية ، صورته ، معارفه ، ميوله ، وحتى تاريخه السياسي والعمل والمرضى أيضاً .. ثم نتخذ القرار بشأنه .

رفعت أحد حاجبيها الجميلين ، وهي تقول في تساؤل :

- القرار ؟!

أوما برأسه ، قائلاً :

- نعم .. إننا نحدد الوسيلة المثلى للتخلص منه .
طبقاً لما يطلبه العميل ، ثم ننتخب من بيننا الشخص
المناسب للقيام بالمهمة ، وبعدها نبلغ العميل بالرقم
الذي حددناه ، مقابل التخلص من الهدف ، وعندئذ يقوم
العميل بتحويل نصف المبلغ المطلوب إلى حساب خاص
في (سويسرا) ، وعندما يصلنا إشعار بهذا ، نقوم بتنفيذ
العملية على الفور ، وبعدها يدفع العميل النصف المتبقى .
سألته في اهتمام :

- وماذا لو لم يفعل ؟

مط شفتيه ، قائلاً :

- في هذه الحالة ، نضطر للقيام بعمل مجاني .

ثم ابتسم في خبث ، مستطرداً :

- ونقتال العميل نفسه .

رفعت حاجبها لحظة ، وهي تبسم ابتسامة واسعة ،

ثم خفضتهما ، وضحكت قائلة :

- هذا الأسلوب يروق لي بالفعل .

وأطلقت ضحكة عذبة ، اتخلع لها قلبه من صدره ،

ورقرف حول رأسه لحظات ، قبل أن يعود إلى موضعه ،

ويخفق في عنف ، وهي تسأله :

- ولكن ما الذي كنت تقصده ، بأنكم تجدون الوسيلة

المثلى للقضاء على الهدف ، طبقاً لرغبة العميل ؟

هز كتفيه ، قائلاً :

- إننا نتعامل مع شريحة ضخمة من العملاء

يا سنيورا ، من كل فئات المجتمع تقريباً ، فبينهم

السياسي ، الذي يوجب في القضاء على منافسه ، على

نحو يبدو أشبه بحادث طبيعي ، والمرأة التي تريد قتل

زوجها لترثه مبكراً ، قبل أن يغير وصيته ، والشريك

الذي يخطط للتخلص من شريكه ، والافراد بالعمل ،

ولكل منهم مطالبه ، فبعضهم يريد للأمر أن يبدو

كحادثة سرقة ، والبعض الآخر لا يعنيه مقدار ما نشيره

من ضجة ، ونحن نقضى على الهدف ، حتى ولو

استخدمنا قنبلة نووية لهذا ، في حين قد يرغب عميل

ثالث في أن يرتبط القتل بفضيحة ما مثلاً .. أنت تعرفين

طبيعة التعامل مع عملاء لهم مشارب وأهواء مختلفة ،

عندما تلتزمين بالقاعدة التقليدية .. « العميل دائماً على

حق » ..

أطلقت ضحكة ساخرة من عينيها ، وهي تكرر عبارته

الأخيرة :

- العميل دائماً على حق ؟

تم انتفتت تلك نصحة الى شفتيها . فطقت حرة .
قبل أن تميل نحوه ، قائلة :

- كل هذا يبدو لي مناسباً لنعية يا (توم) . ولكن
دعني ألق عليك سؤالاً أخيراً :

كم تربحون من هذا العمل سنوياً ؟

انعقد حاجبه . وهو ينظر اليها دهشة . فتراجعت .
ولوحث بكفها ، قائلة :

- أعلم ان السؤال غير لائق . ولكنه يرتبط مباشرة
بطبيعة العمل . الذي طنبت منك الحضور من جهة

ازداد انعقاد حاجبيه بضع لحظات . وحفض عينيه .
وكانه يفكر في مغزى السؤال . ثم لم يلبث أن قل :

- فليكن صافي أرباحاً لا يقل عن ستة ملايين
دولار سنوياً .

مطت شفتيها . وكانت لا تفتع بالمبلغ . فاضاف
بسرعة .

- ولكن منظمتنا الصغيرة في بدايتها . ومع انتشار
سمعتها وتطورها . قد يرتفع المبلغ الى عشرة ملايين .

و ...

قاطعته بفتة :

- وماذا لو تضاعف بمبلغ بضربة واحدة ؟

حدق في وجهها لحظة في دهشة . قبل أن يسر في
حذر :

- ماذا تعنين بالضبط يا سنيورا ؟!

شعنت سيجارة أخرى . في مبسمها الذهبي . وهي
تجيب :

- أعني أنني مستعدة لدفع اتني عشر مليون من
الدولارات سنوياً ، وعلى نحو منتظم .

سألها في اهتمام بالغ :

- مقابل ماذا ؟

نفثت دخان سيجارتها في بطء . وراقبت سحب الدخان
لبضع لحظات في صمت . قبل أن تفتت اليه . قاسية :

- مقابل أن تعملوا لحسابي .

هتف في دهشة :

- نعمل لحسابك ؟

اومات برأسها إيجاب . وقالت في لهجة قوية . تشف
عن شخصية سلطوية صلبة :

- نعم أريد منكم ان تتسوا تماماً امر منظمتكم

الصغيرة . التي ستطوى تحت جناح منظمتي . وتصبح
جزءاً منها . تتلقى الأوامر مني مباشرة . وتعرض على

كل ما يصلها من طلبات العملاء .

انعقد حاجباه في غضب شديد . وهو يهب من
مجلسه ، قائلاً في حدة :

- سنيورا . لقد تجاوزت حدودك . فلا احد من
شركائي سيقبل هذا العرض . الذي يمحو منظمتنا .
ليضاعف من قوة منظمتك ، ولن ..

قاطعته في صرامة :

- عشرون مليوناً .

قال في دهشة :

- ماذا ؟!

أجابته في حزم :

- سأرفع المبلغ إلى عشرين مليون دولار سنوياً .

تردد لحظة ، قبل أن يقول متوتراً :

- ولكننا أنشأنا هذه المنظمة لكي .

قاطعته مرة أخرى :

- وستحفظون بما تحصلون عليه من العملاء أيضاً .

ارتفع حاجباه في دهشة حقيقية ، وهو يهتف :

- حقاً ؟!

ثم امتزجت دهشته بالحيرة ، وهو يسأل

- ولكن ما الذي تستفيد من هذه الحالة يا سنيورا

ابتسمت ، قائلة :

- سأوفر لمنظمتي جذبا خاصا بالاغتيالات . على
أرقى مستوى .

ثم غمزت بعينها ، مستطردة :

- وهذا يرفع من قيمة المنظمة بالتأكيد ليس
كذلك ؟!

جف لعابه مع حركتها هذه ، وتطلع إلى عينيها
الجميلتين في توتر ، مغمغماً :

- بالتأكيد .

ثم تتجنىح في قوة ، لينفض عن نفسه انفعاله ، وقال :

- على أية حال ، سأعرض الأمر على الرجال ، و ..

قاطعته في حزم :

- مهلاً .. قبل أن نتم صفقتنا هذه ، أحب أن أختبر

مهارتكم ، التي تفخرون بها .

ابتسم ، قائلاً :

- أديك هدف ، تسعى للتخلص منه ؟

أومأت برأسها إيجابياً ، وقالت في لهجة خاصة :

- ولكنه ليس بالهدف السهل ، وأحذرك لأنه سيحتاج

إلى تضاعفكم جميعاً ، حتى تكون لديكم فرصة للقضاء

عليه .

ارتفع حاجبه في دهشة ، وهو يقول :

- ومن هذا السوبرمان ؟!

أجابك ، وهي تلتقط ملفا ضخما :

- انه واحد من أفضل وقوى رجال المخبرات في العالم سر ولن ابالغ . لو قلت انه أفضلهم على الإطلاق . ولقد عثرت منظمت قوية عن التخصص منه في السابق .

وألقت إليه الملف ، مضيقه :

- هذه كل البيانات الخاصة به أريد ان تدرسوها بأقصى سرعة ، وبمنتهى الدقة ، بحيث يتم التنفيذ صباح الغد .

هتف في دهشة وهو ينقي نظره على الصفحة الأولى للملف :

- صباح الغد ؟! إنك واهمة بالتأكيد هذا الملف يحوى ألف صفحة على الأقل . ويحتاج إلى أسبوع كامل لقراءته ، فكيف تتوقعين ..

أشارت بيدها ، قائلة في صرامة :

- أظنك أخبرتني أنكم محترفون ؟!

قال في غضب :

- ومن حروك ان المحترفين يتحركون دون تخطيط

مسبق ؟!



هتف في دهشة وهو ينقي نظره على الصفحة الأولى للملف

- صباح الغد ؟! .. إنك واهمة بالتأكيد

انعقد حاجباها لحظة . وبدأ عليها شيء من الحيرة .
يخاف طبيعتها . التي استشفها منذ حضوره . ثم لم
تلبث أن قالت . وكأنها تتحدث مع نفسها :

- ولكن المعلومات لدينا تشير إلى أنه في طريقه الآن
إلى (نيويورك) . حيث مقر منظمتك . وهذه فرصة
نادرة ، و ...

صمتت لحظة . وكأنها تفكر في الأمر بعمق ، قبل أن
تقول في حزم :

- فليكن ما أقل فترة تحتاجون إليها لبدء المهمة ؟
علما بأنني أريد منكم أن تقوموا بها جميعا .

قال في دهشة :

- نحن العشرة !؟

أجابته في حزم :

- نعم .. أنتم العشرة .

هز رأسه في شيء من عدم الاقتناع . ثم غرق في
التفكير بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- أربعة أيام . هذه أقل فترة ممكنة .

قالت في حزم :

- فليكن . سأحد وسيلة لإبقائه في (نيويورك) ، طوال
هذه الفترة . وبعدها أريد منكم أن تنفذوا المهمة

مباشرة .. وتذكر أنني أكره الفشل .

حمل الملف الضخم ونهض قائلا :

- اتفقتا .. كل شيء سيتم على خير ما يرام ..

اطمئني يا ستيورا .. اطمئني .

وعندما غادر المكان ، كان يلقي نظرة سريعة على

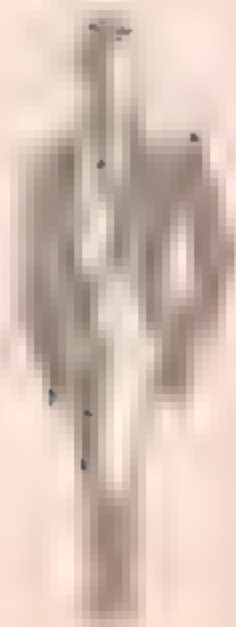
الاسم الذي يحملته الملف . والذي بدا له عسير النطق

بلقته الأمريكية إلى حد ما ..

اسم (آدم) ..

(آدم صبرى) .

★ ★ ★



٢ - نيويورك ..

أطلقت (جيهان) ، زميلة (أدهم) لجديدة (*) زفرة حارة . وهي تجلس داخل السيارة الالبقة . انى كانت فى انتظارهما فور وصولهما إلى مطار (نيويورك) .
والتي انطلق بها (أدهم) مباشرة إلى المستشفى ، وقالت فى شيء من التوتر ، تتصاعد منه رائحة غيرة واضحة :

- من الواضح أن (منى) ما زالت تحتفظ بجاذبيتها وسحرها ، على الرغم من كل ما أصابها ، فهأتذا تهرع إليها دون توقف ، قبل حتى أن تلتقط أنفاسك ، بعد رحلتنا من (سويسرا) إلى هنا .

لم يعلق (أدهم) على عبارتها ، وإن انعقد حاجباه ، وبدأ عليه التوتر ، من البطء الشديد ، الذى تشق به السيارة طريقها ، وسط شوارع (نيويورك) المزدحمة ، وغمغم :

- يبدو أن رحلتنا من (أوروبا) إلى هنا استغرقت

(*) راجع قصة (الأعصر الأحمر) المعاصرة رقم (١٠١)

وقنا أقل من ذلك الذى ستستغرقه رحلتنا ، من المطار إلى المستشفى .

مطت شفيتها ، قائلة :

- ألا تعلم أن (نيويورك) واحدة من أكثر مدن العالم ازدحاماً (*)

تلقت حوله فى قلق ، قائلاً :

- أعلم هذا ، ولكننى أخشى ألا يمهلنا الوقت أدركت ما يشير إليه على الفور ..

إنه يخشى أن تلتفت (منى) أنفاسها الأخيرة ، قبل أن يصل إليها (**) ..

منذ أبلغوه بأنها تحتضر ، وهو لم يكف عن حزنه وتوتره قط ..

وجعلها هذا تدرك كم يحب (منى) ..

كم يحسها ..

بل ، وربما لن يدهشها أن تجد رائحتها فى أنفاسه ، وابتسامتها فى عينيه ..

أو أن تجدها تحت جلده ..

(*) حفيظة

(**) راجع قصة (عقرب الساعة) المعاصرة رقم (١٠٥)

وهي تعترف بأن الغيرة تملأ نفسها منها
صحيح أنها و (منى) زميلتا عمل ، وخريجتا دفعة
واحدة ..

ولكنها تغار منها بشدة ..
تغار منها ، حتى وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة .
ثم إن الموقف كله يثير في نفسها الكثير من الحنق .
وبعض السخط على (أدهم) نفسه ..
كيف لا يشعر بها أبداً ؟ ..

كيف ينشغل طوال الوقت في التفكير في أنثى
تحتضر ، متجاهلاً أخرى فاتنة ، تجلس على قيد نصف
المتر منه ، وتشاركه كل صراعاته وقتاله ..
كيف ؟ ..

وفي أعماقها ، تمنّت لو أنه شعر بها يوماً ..
ولو حتى بعد موت (منى) ..
وسرت في جسدها قشعريرة مضطربة ، عندما بلغت
هذه النقطة ..

كيف بلغ بها الأمر هذا الحد ؟ ..
كيف أصبحت تتمنى موت زميلة عمرها ، حتى تنظر
به ؟ ..

ثم من يضمن لها أن تحظى به ، بعد موت (منى) ؟ ..

من يضمن لها أنها لن تظن كامنة في قلبه إلى ابد
الدهر ؟ ..
أو أن يبقى هو على حبها ، حتى آخر نفس في
صدره ؟ ..

وتصاعد السخط في أعماقها قويا ، وهي تفهم
- سيفعل هذا حتماً .
التفت إليها (أدهم) ، قائلاً :
- ماذا هناك ؟

انتبهت فجأة إلى أنها نطقت العبارة في صوت
مسموع ، فارتبكت قائلة :
- لا شيء .. كنت أتحدث مع نفسي فحسب .
اتعقد حاجباه في توتر ، قائلاً :

- لو استمررنا تسير بهذه السرعة ، لن نصل في
الوقت المناسب أبداً ..

ثم ضغط فرامل السيارة فجأة ، مستطرداً في حزم .
- انتقلني إلى مقعد القيادة .
هتفت في دهشة :

- أنتقل إلى ماذا ؟
ولم يجيبها (أدهم) ..
هذا لأنه لم يعد هناك ..

لقد نطق عبرته . وفتح باب أسيرة . وانطلق يعدو
بكل قوته ..

وانسفت عيناها في دهول . وهي تهتف

- هل ستجري من هنا إلى المستشفى؟!

لم تكن تنفى السؤال حتى اتىها الحوب من عمقها
في سخط :

- نعم سيفعلها سيفعلها من اجل (منى)

وانطلقت بسرعة إلى مقعد القيادة . متعمدة في ياس :

- حاولي نسياته يا (جيهان) . انه لن يكون لك
أبدا .

ثم انطلقت بالسيارة . مقاومة دمعة تقاقل للفرار من
مقلتيها . وهي تستطرد :

- (منى) .. كم أحسبك .

وتخلت عن مقاومتها ..

وتركت دموعها تنحدر ..

اما (ادهم) . فقد انطلق يعدو عبر شوارع

(نيويورك) . كما لو انه قد تحول بكياته كله إلى آلة

للعدو . و عمائه تصرخ باسم (منى) . وكياته كله

يتوب من أجلها ..

سقط (نيويورك) كلها حريا . لو اقتضى الأمر .

حتى يظفر بلحظة واحدة معها . فسرر تفظت نفسها
الآخيرة ..

بل هو مستعد لتجري حول العالم كله . لو ان هذا

يكفى لابقائها على قيد الحياة لساعة واحدة زيدة

يا إلهي !.. كم يحبها ؟..

وكم يتألم من أجلها !..

كم تمنى يوما لو أنها أصبحت زوجته .

وهو ينوم نفسه ألف مرة الآن . لانه لم يفعل هذا منذ

زمن ..

ثم إنه لا يتصور العالم بدونها ..

لا يتخيل أنه قادر على مواصلة الحياة . بعد أن تصل

هي إلى محطتها الأخيرة ..

وكم يدهشه أن تكون حياتهما معا حافلة إلى هذا

الحد . ثم ينتهي به الأمر إلى أن يعدو وسط

(نيويورك) . لكي يظفر بلحظة واحدة معها

كان يلهث في شدة . وقلبه يخفق في عنف . إلا أنه

لم يتوقف عن العدو لحظة واحدة ..

ثلاثة كيلومترات قطعها جريا بلا توقف . حتى بلغ

المستشفى . فأتجه إلى مكتب الاستقبال . وسأل

الممرضة . وهو يلهث في قوة :

- أين أجد الرنة الصناعية ؟

أشارت بيدها ، قائلة :

- فى هذا الطريق ، فى آخر ممر إلى اليسار ، ولكن
الزيارة هناك محظورة ، إلا بتصريح خاص من الـ .

لم يمهلها لتتم حديثها ، وأما انطلق يعدو إلى حيث
أشارت ، فتدفع من خلف مكتبها ، صابحة :

- قمت لك ، إن هذا محظور محظور تماما .

الأمن .. أين الأمن ؟

انطلق اثنان من موظفى الأمن خلف (أدهم) ، الذى
تجاهلها تماما ، وهو يواصل طريقه ، حتى بلغ قاعة
الرنة الصناعية ، وهناك استوقفه حارس المكان فى

صرامة ، قائلا :

- تصريحك يا سيدى .

أمسكه (أدهم) من كتفيه فجأة ، فاستطرد فى
دهشة :

- ماذا ستفعل ؟

ومع صيحته ، حملته (أدهم) من مكانه فى قوة ،
وأزاحه جانباً ، وهو يفتح الباب ، ويدلف إلى المكان فى
خطوات سريعة ..

« (أدهم) ؟ »

هتف (قدرى) والدكتور (أحمد) بالاسم فى أن
واحد ، فتدفع (أدهم) نحوهما فى لهفة ، وهو يسأل .

- كيف هى ؟ .. هل ... ؟

قاطعه الدكتور (أحمد) بسرعة :

- كلا .. ليس بعد .. لم تحتضر بعد .

وانهمرت الدموع من عيني (قدرى) ، وهو يضيف :

- ولكنها فى سبيلها إلى هذا .

افتحهم رجال الأمن المكن ، فى هذه اللحظة ، وهتف

أدهم فى غضب :

- أسلوبك هذا يعرضك للوقوع تحت طائلة القانون

أيها السيد ، ويمكننى الآن أن ..

قاطعه الدكتور (أحمد) ، قائلاً :

- لا بأس يا رجل .. أنا الذى طلب منه الحضور .

لا بأس .

اتخذ حاجباً الرجل فى غضب ، فى حين تجاهله

(أدهم) تماماً ، واتجه إلى حيث ترقد (منى) ، وقببه

بخفق فى عنق ..

لم يكن يبدو منها سوى رأسها وعنقها . أما باقى

جسدها ، فكان مختفياً داخل أسطوانة ضخمة ، تشغل

ثلثي فراغ المكان تقريباً ، تقوم معها بنفس الدور ،

الذى تقوم به الرنة السليمة فى المعتاد

وكان وجهها شاحب ممتعاً بشدة . على نحو خفق له
قلبه متفق . فقال نحوها . وهو يهمس في حنان
عطوف :

- حبيبتي .. أنا هنا .

كان يشعر بالضيق . لأن يدها تختفي داخل الرثة
لصناعية . فقد تمنى أن يلتقطها في راحته . وإن
يحتضنها بأصابعه . كما اعتاد كلما أتى لزيارتها . منذ
فقدت وعيها . وسقطت في هذه الغيبوبة العميقة . في
معركتها الأخيرة ضد (سونيا جراهام) . عدوكة اللدود .
منذ عدة أشهر (*) ..

وفي توتر شديد . التفت إلى شقيقه الدكتور
(أحمد) ، قائلاً :

- أريد أن أمسك يدها .

خفف (قدرى) عينيه . وترك لدموعه الغنان . في
حين عدل الدكتور (أحمد) وضع منظاره الطبي على
عينيه . وهو يغمغم :

- ربما يمكنني تدبير الأمر .

(*) راجع قصة (الصربية العاصمة) المعمره رقم (١٠٠)

واتجه نحو الرثة الصناعية . وفتح جزءاً منها . وهو
يقول :

- الجهاز لديه استعداد خاص . لتحرير اليد اليمنى .
بالنسبة للمصابين من رجال الاعمال والبنوك . الذين
يحتاجون إلى التوقيع على بعض الاوراق . عندما
يستعيدون وعيهم . في حالات الفشل الربوى

قلها وهو ينحنى . ويجذب يد (منى) في رفق
وفي نفس اللحظة . وصلت (جيهان) . وهي تقول :

- إذن فقد وصلت قبلى بالفعل . كنت أتصور أن .
وبترت عبارتها بغتة . ليرتفع حاجباها في حنان .
وهي تحديق في ذلك المشهد المهيّب أمامها .

كثت (منى) راقدة في غيبوبتها العميقة . بوجهها
الشاحب الممتقع . و (أدهم) جالس على إحدى ركبتيه
إلى جوارها . يتطلع إليها بنظرة لم تر أشد حبا منها .
في حياتها كلها . وهو يلتقط أصابعها الرقيقة في
راحته . ويضغطها في رفق . هامساً :

- لن أتركك أبداً يا (منى) ..

اتسعت عيناها . وارتجفت شفتاها . وهي تتطلع إليه .
وأدركت أن الهوة بينها وبينه شاسعة للغاية . وتكفى
لابتلاع محيط بأكمله ..

هوة اسمها الحب ..

حبه لـ (منى) ..

وفي صمت ، انسحبت (جيهان) من المكان . وألقت
جسدها على أقرب مقعد صادفها . وتركت دموعها
العنان ، دون أن تتبص ببنت شفة ..

ام الدكتور (أحمد) . فقد خلع منظاره الطبي .
ومسح دموعه ، وهو يشير إلى (قدرى) . هامسا :
- فسترئهما وحدهما - إنه أحق منا بلحظاتها
الأخيرة .

انصرفا على أطراف أصابعهما . ودموع (قدرى)
تفرق وجهه ، وتفيض أنهارا ..

ولم يشعر (أدهم) بانصرافهما . بل لم يشعر حتى
بقبوم (جيهان) ..

لقد استغرق بكياته كله مع (منى) . حتى لم يعد
يشعر بسواها ..

وبكل الحب . والحزن . واللوعة في اعماقه . مال
على أنفها ، هامسا :

- أت هما يا حبيبتى لن اصديق ابدا ما يقولون .
لن نموتى يا (منى) بالنسبة لى عنى الأقل
فليقولوا م يشبعون . وليوقعوا ألف تقرير وتقرير .

ولكن هذا لن يغير من امرى وامرك شيئا . ستظنين
حية بالنسبة لى إلى الابد . قلبى سيصبح مثواك الاول
والأخير . لن أنساك أبدا . خذوها كلمة منى
و (أدهم صبرى) لم يحنت بوعده قط

وصمت لحظة . ليزدرد لعبة . ويقوم دموعه عنيدة .
تصر على القفز عبر مقننتيه . وارتجفت شفاته . وهو
يقاومها فى عنف . حتى استسلمت له . وانحدرت على
قلبه . لتشاركه دموع لوعته . فالتقط نفسا عميقا .
وتابع .

- عزائى الوحيد أنتى سأبقى إلى جوارك . فى
لحظاتك الأخيرة يا (منى) تلك اللحظات التى لم
أتصور قط أن تأتى .. كنت أظن دوما أن نهايتى
ستسبق نهايتك .. بل كنت أتمنى هذا . ولكن ليس كل ما
يتمناه المرء يدركه . والرياح لا تأتى دوما بما تشتهى
المسفن . الله (سبحانه وتعالى) شاء أن تكونى
الصابقة .

وعض شفتيه فى مرارة . وهو يستطرد .
- كم أتمنى لو بقيت يا (منى) كم أتمنى لو عدت
إلى . ولو لحظة واحدة . يا إلهى ! كم حبك كم
أشتاق إليك .. كم ..

بتر عبارته بعثة . و نعتد حاجباه فى تسعة . وهو
يخفض عينيه بسرعة إلى يده . التى تحتضن كفها .
ففجأة . وبينما كان يبثها نوعته وحبها . قبضت
(منى) أصابعها . وعانقت أصابعه فى ضعف
وكانت هذه معجزة ..

معجزة بأى مقياس طبى ..

* * *

عقد السفير المصرى فى (واشنطن) رباط عنقه
الصغير الأبق . وهو يبتسم . ويقول لزوجته مداعب .
- كان ينبغي ألا ابدأ فى ارتداء ثيابى . إلا عندما
تهدين فى وضع لمسات زينتك الأخيرة . حتى لا أسبقك
بأكثر من ساعة واحدة .
عقدت حاجبيها . قائلة :

- إنه حفل رسمى . هل كنت تفضل أن أذهب دون
زينتي ؟

ضحك قائلاً :

- وهل كنت ستفعلين هذا . لو أننى أفضله ؟

ضحكت بدورها . قائلة :

- كلاً بالطبع .

استمرى معا فى ضحكة مريحة طويلة . قبل أن تنهض
هى . قائلة :

- وعلى أية حال . لقد سبقك بالفعل إليها لتغفروا
انتهيت من زينتى . ونم ترتد سترتك بعد
التقط سترته . وارتداها بسرعة . قبل
- انظرى كم يستغرق ارتداؤها :
ضحكت . قائلة :

- لهذا يتميز الرجال عن النساء ..

ثم تأبطت ذراعه . مستطردة :

- هيا بنا . وسأثبت لك اننى افضل روجة سفير . فى
العالم أجمع .

تبادلا بعض الدعابات . وهما يغادران مبنى السفارة .
وأسرع السائق يفتح لهما باب السيارة . فى حين اتخذ
طاقم الحراسة السيارة الثانية . وتطلق خلف سيارة
السفير مباشرة ..

وخلف السيارتين . انطلقت سيارة أخرى مجهولة
الهوية ..

سيارة راحت تتبع السيارتين فى إصرار . حتى أن
أحد أفراد طاقم الحراسة قال لزملائه الثلاثة فى قلق :
- هذه السيارة تطاردنا فى إلحاح .

تطنع زملاؤه إلى السيارة بدورهم . ثم قال احدهم .
- دعنا نوصل سعادة السفير إلى مقر السفارة

الروسية أولا ، ثم تقول أمرها .

قال الأول في صرامة :

- ومدا لو أنها تنوى الهجوم قبل هذا "

حسب زميله امرأة مسدسة الآلى . وهو يجيب فى

حرم :

- اعتقد اننا نراقبها جيدا . ليس كذلك ؟

تعلقت اعينهم بتلك السيارة المطاردة ، وكل منهم

متحفز للقتال ، و ...

وفجأة ، انحرفت سيارة اخرى عن الطريق .

واتدفعت بين سيارتهم وسيارة السفير ، فضغط مساق

سيارتهم فزاملها بكل قوته . هاتفا :

- رباه !.. يبدو أنها ..

وقبل أن يتم عبارته . حدث الاصطدام .

اصطدمت سيارتهم بالسيارة الاخرى فى عنف .

فصاح أحدهم :

- احترسوا .. إنها خدعة .

ولم يكذ يثم صيحته . حتى جاء الهجوم التامل بقتة

عشرة رجال اندفعو نحو سيارة طاقه الحراسة .

وامطروها حيل من لرمصاصات . من مدفعهم الآلية .

فصرحت روجة السفير فى رعب . وصاح هو

- رباه !.. إنها محاولة اغتيال .

ضغط المسائق دواسة الوقود فى سيارته . محاولا

الفرار بأقصى سرعة . ولكنه اصطدم بسيارة أمامه .

وأخرى إلى جواره . قبل أن ينقض خمسة رجال اخرون

عليها ويطلق ادهم النار عليه . فيرده قتيلا بلا رحمة

وصرخت زوجة السفير مرة أخرى :

- سيقتلوننا . سيقتلوننا

وحاول السفير احتواءها بين ذراعيه . إلا أن أحد

الرجال الخمسة فتح باب السيارة . وانتزعه من مقعده

فى عنف . وهو يقول صاخرا :

- مرحبا ب سعادة السفير . عندنا لك حفل خاص .

أفضل من حفل السفارة الروسية .

هوى السفير على معدته بلكمة قوية . ثم أعقبها

بأخرى فى فكه . فصرخ الرجل :

- أيها اللعين !

وفى نفس اللحظة . انفض اخران على السفير .

وهوى أحدهما بهراوة ثقيلة على مؤخرة عنقه . فسقط

فاقد الوعى . فى نفس اللحظة التى دفع فيها الثانى

رذ ذا مخدرا فى وجه زوجته . التى راحت تصرخ

وتصرخ . حتى فقدت الوعى بدورها ..

وفى غضب . صوب ذلك الذى ضرب السفير مدفعه

الآلى إليه . صاخرا :

- ساقطه .. ساقط ذلك اللعين -

ونكن زمينه اراح صدقه في قوة . وهو يقول انه في
صرامة :

- اياك ان تفعل لتعلمت تؤكد ضرورة وصول
البضائع سالمة .

ثم انحنى مع زميله . يحملان جسد السفير . في
حين حمل ثالث جسد زوجته . امام عيون العدة . الذين
احتبوا في كل ركن . دون ان يبذل احدهم قرا جهدا
للاتصال بالشرطة . او الاستعانة باحد . ولم تلبس
لحظات . حتى كان الرجل الخمسة عشر قد اختفوا
داخل مبنى قريب . واستقلوا مصعديه الى السطح .
وهناك تطلع قائدهم الى ساعته . قائلا .

- المفروض ان تصل الآن .

ثم يكذب يتم عبارته . حتى ارتفع ازيز مروحة
هنيوكوبتر كبيرة . اتجهت اليهم مباشرة . وهبطت فوق
سطح المبنى . فالتفتوا جميعهم اليها . مع السفير
ورؤيته الماقدى الوعى . وبعد ان ارتفعت الهنيوكوبتر .
وانطلقت مبعدة . تحتفى وسط الظلام . في نفس
المنطقة التي بدت فيها سيارات الشرطة من بعيد
وكن هذا يعنى ان العملية قد انتهت
وبنجاح .

* * *



لا ان أحد الرجال الخمسة فتح باب السيارة ، وانزعه ، من

معهده في عطف ..

٣- المعجزة ..

التف فريق الاطباء حول جهاز الرئة الصناعية . وهم
يفحصون (منى) فى اهتمام بالغ . فى حين خضع
الدكتور (احمد) منظاره الطبى . وهز راسه فى حيرة .
قالا :

- لست ادري كيف يمكن أن يحدث هذا يا (ادهم) .
فعلميا يستحيل ان تقبض (منى) اصابعها . قبل أن
تستعيد وعيها . الا لو كان هذا مجرد انقباض سلبى
للمعضلات

وتدخل طبيب أمريكى ، قالوا :

- ولقد انتهت حالة الانقباض هذه . وعادت أصابعها
لارتعاشها الطبيعى . فى مثل هذه الحالة . انظر
ووضع يده فى يد (منى) . مستظردا :

- انها حتى لم تحاول امسك يدي . وهذا امر
طبيعى . بالنسبة للعرق فى غيبوبة عميقة مثلها .
اتفقد حاجبا (ادهم) . وهو يقول للطبيب الأمريكى .
- ابتعد .

قال الطبيب فى دهشة :

- ماذا تقول ؟

كرز (ادهم) فى صرامة شديدة :

- ابتعد .

تراجع الطبيب فى حركة غريزية سريعة . وهو يحدق
فى وجهه بمزيج من الدهشة والذعر . فتحنج الدكتور
(احمد) ، قائلا :

- (ادهم) ثمالك نفسك يا أخى الموقف لا

قطعه (ادهم) فى صرامة مماثلة :

- انتظر .

وتابعته (جيهان) ببصرها فى حيرة . وهو يتجه إلى
(منى) . ويمسك كفها فى رفق . ثم ينحنى ليهمس فى
أذنها بحب وحنان :

- إنه أنا يا حبيبتى .

لم يكذب ينطقها . حتى اتسعت عيون الجميع فى
ذهول . عندما انقبضت أصابع (منى) فى ببطء .
لتحتضن يده . وتثبت بها فى ضعف

وفى حماس . تفجرت دموع (قدرى) . وهو يهتف :
- أرايتم . إنها تتعرفه . وتستجيب إليه .. راجعوا
علومكم الفاسدة ايها السادة . قبل ان تحكموا على ملاك
مثلها بالموت .

أما الدكتور (أحمد) . فهتف :

- مستحيل !.. إنها .. إنها معجزة !

ثم اندفع إلى (منى) . وهو يستطرد في حماس .
متحدثاً مع الفريق الطبي :

- هي ابها أنسادة . سعادود فحص مريضتنا بقواعد
أخرى .. هيا .

أقلت (أدهم) يد (منى) . وترجع في صمت .
ليفسح المجال أمام فريق الأطباء . الذي راح يعمر في
حماس . واكتفى بمراقبتهم في اهتمام . ولم ينهر إلا
و (جيهان) تهمس في أذنه . في صوت يفيض
بالانفعال
- أهنتك

التفت إليها في صمت . فتسعت في خفوت .

- دعني أعترف لك . لقد كنت أغار منها . منذ
النحلة التي التفت بك فيها . أما الآن . فلم أعد أحمل
لها سوى التعاطف والإشفاق .

سألها :

- حقاً ؟

أوصت برأسها إيجاب . ثم صاحت بوجهها . لتخفى
ترفرق اسمع في عينيها . وهي تحيب .

- نعم .. حقاً ؟

ثم اندفعت تغادر الحجرة كلهب . قبل أن تغلبها
دموعها ..

(قدرى) وحده ترك لدموعه العن . وهو يقول :

- كنت أعلم أنها ستجود .. كنت أعلم .

رثت (أدهم) على كتفه . مغمغماً :

- فندع الله أن تكتمل المعجزة . وتعود إلينا
(منى) .

هتف (قدرى) في حرارة :

- استجب لدعائي يا إلهي !.. أرجوك .

وعاد إلى مكانه الحار . في نفس لحظة التي ظهر
فيها رجل عند الباب . وهو يقول بالعربية :

- سيادة العميد (أدهم) . حمداً لله أنني وجدتك .

لقد أخبروني أنني سأجدك هنا على الأرجح

التفت (أدهم) إليه . وقال في دهشة :

- (ناشد) ؟.. ما الذي أتى بك ؟

أحابه مندوب المخابرات المصرية في (نيويورك) :

- برقية سرية عاجلة من (القاهرة) يا سيادة

العميد يريدون منك أن تتحدث إليهم على الفور

التقى (أدهم) نظرة على (منى) . ثم أمسك الرجل

من ذراعه . وقاده إلى خارج حجرة الرسة الصناعية .
وهو يسأله :

- ماذا حدث ؟

أجابه (ناشد) في انفعال :

- لقد اختطفوا لسفير المصري في (واشنطن)

هاتف (أدهم) :

- خطفوا السفير ! ومن ارتكب هذا الفعل الحقير ؟

أجابه الرجل بسرعة :

- منظمة تجسسية جديدة ، قامت بعملية في وسط

الشارع ، واحتطفته . بعد أن قتلت طاقم حراسه وسائق

سيارته . وتركت خلفها حلية من الذهب .

تساعل (أدهم) :

- حلية من الذهب ؟

أوب الرجل برأسه إيجابيا ، وهو يقول :

- نعم .. حلية بشكل أفعى .

واتعقد حاجبا (أدهم) في شدة ..

لقد فحرت تلك الحلية في اعماقه ذكرى بغيضة .

وعنيفة ..

* * *

« .. (سونيا جراهام) .. »

نطق مدير المخابرات المصرية الاسم في تحفظ ، عبر

الهاتف المؤمن الخاص ، الذي يستخدمه في حديثه مع

(أدهم) عبر المحيط ، فقال هذا الأخير في توتر :

- الفكرة نفسها قفزت إلى ذهني يا سيدي ، فالتشابه

مذهل بين هذه المنظمة الجديدة ، ومنظمة (سفك)

القديمة ، التي أنشأتها (سونيا) (*) ، والتي تم تدميرها

عن بكرة أبيها (**) ، فكل منهما تتزعمها سيّدة ، وتتخذ

من الأفعى شعارا ، ومن التجسس الحر هدفا ، ولكن

(سونيا) لقيت مصرعها مع ابني ، عندما انفجر وكر

المنظمة . فكيف يمكن أن تعود إلى الحياة ؟!

قال المدير :

- لا أحد يعود إلى الحياة بعد موته يا (أدهم) ، إلا

بإرادة الله (سبحانه وتعالى) .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يضيف في حزم :

- ولكن هناك تفسير آخر .

سأله (أدهم) في لهفة واضحة :

- أن يكون أحدهم قد صنع هذا التشابه الواضح

(*) راجع قصة (الصقر الأعشى) المعامرة رقم (٩٧)

(**) راجع قصة (الصرصة العاصم) المعامرة رقم (١٠٠)

عمداً . لجذب انظارك الى قضية فرعية . وإبعادنا عن القضية الرئيسية . تمام متما تفعل في لعبة الشطرنج . عندما تضع حصاتك صيدا سهلا أمام خصمك . لتشفله عن خطتك الأساسية لقتل وزيره .

صمت (أدهم) لحظة ، قبل أن يقول :

- احتمال قوى يا سيدى .

قال المدير :

- لذا فستجدهم تلك القضية الفرعية . ونمضى قدما في خطتنا الرئيسية يا (ن - ١) .

واكتسى صوته بصرامة شديدة . وهو يضيف .

- سنسعى لاستعادة سفيرا وبأى ثمن

أجابه (أدهم) فى حزم :

- اطمئن يا سيدى . سنبدل قصارى جهنم

وأنتهى الاتصال ، ثم جلس لحظات يفكر فى عمق .

قبل أن ينهض من مقعده . ويفادر الحجرة إلى الردهة .

التي جلست فيها (جيهان) التى لم تكد تلمحه . حتى

سألته فى اهتمام :

- لماذا استغرقت المحادثة كل هذا الوقت ؟

أجابها فى حزم :

- إنها محادثة عمل .

هتفت ساخرة :

- اه معذرة أيها الرئيس نسيت أنك تحمل رتبة عميد . وأنت القائد هنا . أما أنا فمجرد مساعدة بسيطة

رمقها بنظرة ضيق . وتفادى الدخول معها فى مناظرة كلامية . وهو يقول :

- هل راجعت تفاصيل الحادث جيدا ؟

أومات برأسها إيجابيا . وقالت :

- نعم . وعثرت فيها على بضع نقاط تثير الاهتمام

اتخذ مجلسه أمامها . وهو يسألها فى اهتمام .

- مثل ماذا ؟

اعتذلت مجيبة فى جدية :

- الخطة نفسها عشوائية وعنيفة أكثر مما ينبغى .

وكان منفذوها لم يكن لديهم الوقت الكافى للتخطيط

الجيد . ثم إن الشهود أكدوا أن عدد المشاركين فى

التنفيذ يتراوح بين الخمسة عشر والعشرين . وهذا عدد

ضخم للغاية . فلو تم تنفيذ العملية بوساطة محترفين .

لما احتاج الامر لاثر من خمسة أشخاص . وهذا يثير

الحيرة . فلماذا تلجأ منظمة تجسسية محترفة إلى عدد

من الهواه . لتنفيذ عملية ذات انعكاس سيئ كهذه ؟

أشار بسبابته ، قائلا :

- هذه النقطة بانذات تثير اهتمامي بشدة ، وتبدو لي غامضة إلى حد كبير .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في حزم :

- وربما كن فيها تفسير الموقف كله .

قالت (جيهان) في اهتمام :

- هناك نقاط أخرى تثير الانتباه ، فوصف

الهنويوكوبتر ، التي استخدمت لنقل السفير وزوجته ، يطبق بشدة على نوع أو اثنين من طائرات الهنيوكوبتر الحربية ، ولا يمكن الحصول على شيء كهذا إلا عن طريق أحد رجال الجيش ، وخاصة في عاصمة مثل (واشنطن) ، حيث يتم تقييد الطيران الحر بمجالات محدودة ، لحماية البيت الأبيض (*) والمؤسسات السياسية الأخرى .

(*) البيت الأبيض المقر الرسمي لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية

فر (واشنطن) وضع اسمه وقد يصحبه (جيمس هوبس) عام

١٧٩٢ م ، وأحضر موقعه (جورج واشنطن) نفسه ، وكان (جوردن

المر) أول رئيس يقيم به عام ١٨٠٠ م ، وقد اكتسب اسمه من لون

طلعه الأبيض ، بعد أن حرقه الإنجليز عام ١٨١٤ م .

اتخذ حجاباً في شدة ، وهو يدرس كل ما سمعه منها في عمق ..

وعلى الرغم منه ، انصرف تفتيره إلى نقطة أخرى . احتلت عقله ، وراحت تجاهد : لتربط نفسها بكل الأحداث ..

نقطة تحمل اسماً محدوداً ..

(سونيا جراهام) ..

* * *

أطلقت زعيمة المنظمة الجميلة ، المعروفة باسم (السنيورا) ، ضحكة عالية ، تجمع ما بين الزهو والسخرية والشماتة ، وهي ترقد إلى جوار حوض السباحة ، في قصرها العنيف في (المكسيك) ، قبل أن تقول لمساعدتها الأولى :

- خطتي متقنة بالطبع يا عزيزتي ، فلو أنك في موضع المخابرات المصرية ، وتم اختطاف السفير المصري في (واشنطن) ، في أثناء وجود أفضل رجل مخابرات لديك في (نيويورك) ، فلن تمنين المهمة ؟ ابتسمت مساعدتها ، مجيبة :

- لـ (أدهم صبري) بالطبع .

ضحكت السنيورا مرة أخرى ، والتقطت كأسها ، قائلة :

— وهذا يشغل (أدهم صبرى) بقضية السفير .
ويظل داخل حدود الولايات المتحدة الأمريكية . حتى
يستعد (توماس) وفريقه . وتبدأ النعبة الحقيقية .

سألته مساعدتها فى اهتمام :

— وماذا عن السفير نفسه ؟ هل سيطالب بفدية
لإعادته ؟!

هزت رأسها نفيا ، وقالت :

— كلاً . سنيقيه لديها بضعة أيام فحسب

وارتشت رشفة من كاسها ، قبل أن تستطرد :

— اختطاف السفراء لعبة سخيفة ، لا تليق بالمحترفين
مثلنا . ولقد دفعت لهؤلاء الهواة الذين استأجروهم أجرا
باهظا . مقابل هذه العملية التافهة ، ومنعتهم تماما من
طلب أية فدية مقابل إعادته .

سألته مساعدتها فى حيرة :

— ولكن لماذا ؟ ما داموا قد اختطفوا السفير . ولم
يقتلوه مع طاقم الحراسة والسائق ، فلا بد أن لهم مطالب
محدودة فدية مثلا ، أو إفراجا عن بعض المعتقلين ،
أو إصدار بيان سياسى ..

ضحكت السنيورا ، قائلة

— هذا بالضبط ما سيفكر فيه وينتظره رجال المخابرات

المصرية . ومن المؤكد أنهم سيرتبون كثيرا . عذمت
بمضى الوقت . دون أن يتقدم المختطفون بية مطالب
وغمرت بعينها لمساعدتها . مستطردة .

— والوقت هو كل ما نحتاج إليه . لبدء العملية
الأساسية .

واتعقد حاجباها بفتة . واكتست ملامحها ببفض
شديد ، وهى تضيف :

— عملية تصفية (أدهم صبرى) .

تطلعت إليها مساعدتها لحظة فى حيرة . قبل أن
تسألها فى حذر :

— أخبريني يا سنيورا .. لماذا أنفقت كل هذا للقضاء
على (أدهم صبرى) ؟ .. لماذا تبغضينه إلى هذا الحد ؟
أجابتها فى حدة :

— لقد أقصد عمليتنا الأولى فى (سويسرا)

قالت المساعدة فى سرعة :

— فقط ؟

التفت إليها فى شراسة . وهى تقول :

— ماذا تعنين بكلمة (فقط) هذه ؟!

تراجعت المساعدة . وانكمشت بسرعة . وهى تجيب .

— معذرة يا سنيورا .. لم أكن أعنى شيئا بالتحديد

فقط تصورت أنك تحملين له بغضا شديدا ، يفوق
الغضب الطبيعي ، تجاه شخص أفسد عمليتنا الاولى ..
لقد بدا لي وكأن .. وكأن ..

تردّدت بشدة ، فقالت لها في حدة :

- وكأن ماذا ؟

ازدادت المساعدة انكماشاً ، وهي تغتمم :

- وكأن الأمر يحمل ثأرا شخصيا .

اتعقد حاجبا السنيورا في شدة ، حتى خيل للمساعدة
أنها ستطلق عليها النار ، أو تنقض على عنقها ،
فتعصره حتى الموت ، فاضطربت ، وارتبكت ، وازداد
انكماشها أكثر وأكثر ، وشحب وجهها وامتنع ، وجف
حلقها ، واحتق صوتها ، وهي تقول :

- سنيورا أقسم إنني لم أقصد أن ..

قاطعتها السنيورا في صرامة :

- أعترف أنني أبغض (أدهم صبرى) كل البغض .

بهتت المساعدة أمام هذا الاعتراف الصريح ، فحدقت
في السنيورا بدهشة ، وهذه الأخيرة تضيف :

- على الرغم من أنني لم ألتق به سوى مرة واحدة ،

في حياتي كلها .

هتفت المساعدة في دهشة :

- مرة واحدة ؟! ..

أجابتها السنيورا في حدة :

- نعم .. مرة واحدة . ولكنها تكفى لأبغضه حتى آخر

يوم في حياتي كلها .

ران عليهما صمت طويل . بعد أن نطقت عبارتها ،
ولم تحرك أيّ منهما ساكنا ، حتى لقد بدا المشهد أشبه
بصورة ثابتة على شاشة عرض سينمائية ، قبل أن
تستعيد السنيورا ابتسامتها الساخرة بسرعة مذهشة ،
وترتشف رشفة أخرى من كأسها ، ثم تقول في شيء
من المرح :

- كم أتمنى رؤية وجه عزيزنا (أدهم صبرى) الآن ،

وهو يضرب أخماسا في أسدام ، محاولا معرفة السبب

الفعلى لاختطاف السفير .

ورفعت كأسها ، مستطردة في سخرية :

- نخب أول فشل في حياة (أدهم صبرى) .

وانطلقت ضحكاتها عالية مجلجلة .

وظافرة ..

* * *

توقفت سيارة رسمية ، تحمل شعار القوات الجوية

الأمريكية ، أمام منزل الجنرال طيار (رالف أيدن) .

وهبط منها هذا الأخير . وهو يقول للسائق في صرمة عسكرية :

- اسابعة تماما غدا يا (جورج) . سأخصم يوما كاملا من راتبك . لو وصنت في السابعة ورفيقة . هل تفهم ؟

غمغم السائق في احترام :

- أفهم يا جنرال . ستجدينى قبل السابعة . أرجو أن تبلغ بحياتى للسيدة (أيدن) .
مط الجنرال شففيه ، وقال :

- السيدة (أيدن) والصفار فى (فلوريدا) . لزيارة خالتهم . وسيعودون مع بداية الأسبوع المقبل .
قال السائق :

- أتمنى لهم رحلة سعيدة يا جنرال .

لوح الجنرال (رالف) بيده ، قائلا :

- أشكرك يا (جورج) . هيا . انصرف . وسانتظرك

فى السابعة .

انطلق السائق مبتعدا . فى حين شد الجنرال قامته ، بحركة عسكرية روتينية . ثم تقدم نحو منزله ، وفتح به بيده الىه . ثم أغلقه خلفه . وامتدت يده لتضيق الأنوار ، و ...

« لا داعى .. إتنى أفضل الظلام .. » ..

استدار الجنرال الى مصدر الصوت فى حدة . وقفزت يده نحو مسدسه بحركة غريزية . إلا ان (أدهم) انقض عليه كالصاعقة . فمسك معصمه . ولجأه فى عنف . ليجبرده عنى افلات مسدسه . قبل ان يدفع يده اليسرى فى ظهره . ويضرب وجهه بالحايط . وهو يقول فى لهجة صارمة مخيفة :

- إياك يا جنرال . كلمة واحدة زائدة . وأحطم رأسك كبيضة قاسدة .

دفع الجنرال قدمه إلى الخلف فى قوة . ليضرب ساق (أدهم) . إلا أن هذا الأخير أزاح ساقه فى سرعة . ثم ركن الجنرال فى قدمه ركلة عنيفة . جعلته يطلق صرخة ألم . كتمها (أدهم) بيده . وهو يقول .

- هيا . حاول مرة أخرى . ولن تجد فرصة بعدها للقيام بمحاولة ثالثة .

هتف الجنرال . وهو يلهث فى انفعال .

- من أنت ؟ .. وماذا تريد منى ؟

أجاب (أدهم) فى صرامة :

- جوابا لسؤال بسيط يا جنرال . لماذا أرسلت طائرة

لانتقاط المختطفين . بعد انتهاء عملية السفير المصرى ؟

من طلب منك أن تفعل هذا ؟

هتف الجنرال :

- لم ارسل اية طائرات ؟ من اخبرك اننى على

علاقة بهؤلاء المختطفين ؟

ضرب (ادهم) وجهه بالحائط ثانية . وهو يكرر فى

صرامة أشد :

- من يا جنرال ؟

تفجرت الدماء من أنف الجنرال ، الذى سعل فى قوة .

وهو يهتف :

- أيها الـ ..

جاءت الصربة الثالثة لتخرسه تماما ، وتحطم

ما تبقى من أنفه ، فهتف فى ألم :

- هناك خطأ ما حتما . أنت تقصد شخصا آخر

بالتأكيد .

اجابه (ادهم) ، وهو يلوى ذراعه بقسوة أكثر .

- كلا يا جنرال انت المقصود بالتحديد ، فأنت

المسؤول الأول عن طيعات الهليكوبتر الحربية ، ولقد

خرجت تلك الهليكوبتر ، التى انتقطت المختطفين ، بناء

على أمر مباشر منك ، ضمن برنامج التدريب

الرسمى كل ما حدث هو انها غيرت مسارها ، وبدلا

من الاتجاه غربا اتجهت شرقا . وانتقطت المختطفين .

ثم حملتهم إلى حيث يختفون . واكملت برنامج

التدريب ، وكأن شيئا لم يكن .

هتف الجنرال :

- لا يمكنك إثبات هذا .

ابتسم (ادهم) فى سخرية ، قائلا :

- عظيم .. هذا تطور جيد للغاية ، فقد انتقلت من لغة

الرفض والإنكار إلى أننا لن نستطيع إثبات هذا . قل لى

يا جنرال : ألا يبدو لك هذا أشبه باعتراف صريح .

صاح الجنرال مذعورا :

- أى اعتراف ؟! أنا لم أقل شيئا .. برنامج التدريب

رسمى ، ويتم القيام به كل ثلاثة أيام ، وخطوط السير

كلها مدونة ، ولن يمكنك أبدا إثبات أن الهليكوبتر قد

غيرت مسارها ، أو قامت بأى عمل ، يخالف مهمتها

الرسمية .

انتزع (ادهم) مسدسه ، وألصقه بعنقه ، قائلا .

- لست هنا بصدد البحث عن إثباتات أو أدلة .. كل ما

أريد معرفته هو من أمرك بهذا ؟

اجابه الجنرال ، وقد تضاعفت سرعة لهائمه

المضطرب :

- لا يمكننى أن أخبرك سيقتنوننى لو فعلت .

قال (أدهم) فى صرامة :

- وأنا سأقتلك لو لم تفعل .

هز الجنرال رأسه فى عنف ، قائلا :

- لا يمكننى هذا لا يمكننى أبدا ستقتلنى السنيورا

حتما لو فعلت .

اتسعت عينا (أدهم) ، وهو يهتف :

- السنيورا !؟

ثم أداره إليه فى حركة عنيفة ، وضرب ظهره فى
الجدار بقوة ، وهو يلصق فوهة مسدسه بعنقه ، أسفل
ذقنه تماما ، ويسأله فى حدة :

- من هذه السنيورا !؟ .. أهى زعيمة منظمة

(الأفعى) ؟

أجاب الجنرال ، والدماء تغمر وجهه :

- نعم . نعم . إنها الزعيمة . أنت لا تدرك كم هى
قاسية عنيفة . إنها لا ترحم قط من يخونها . كما أنها
تدفع بسخاء للمخلصين . صدقنى .. إننى أفضّل أن
تطلق على خزانة رصاصاتك كلها ، على أن أبلغك شيئا
من أمرها .

انعقد حاجب (أدهم) فى شدة . وهو يتطلع إلى عيني

الجنرال مباشرة ، فى محاولة لأن يستشف شئ مما
يدور فى أعماقه ..

كان من الواضح أن الرجل خائف ومذعور بحق .

وأن تلك الأفعى تسيطر عليه حتى النخاع .

وفى صرامة ، سأله (أدهم) :

- هل رأيتها !؟

مسح الجنرال خيط الدم ، الذى يسيل من أنفه

المحطم ، وهو يقول :

- رأيت من !؟

هزه (أدهم) فى قوة ، قائلا :

- السنيورا .. هل رأيتها ؟ .. هل التقيت بها وجها

لوجه ؟

أجاب الجنرال فى ألم :

- نعم .. نعم .. مرة واحدة فحسب .. أقسم لك .. لم

أرها سوى مرة واحدة فحسب .

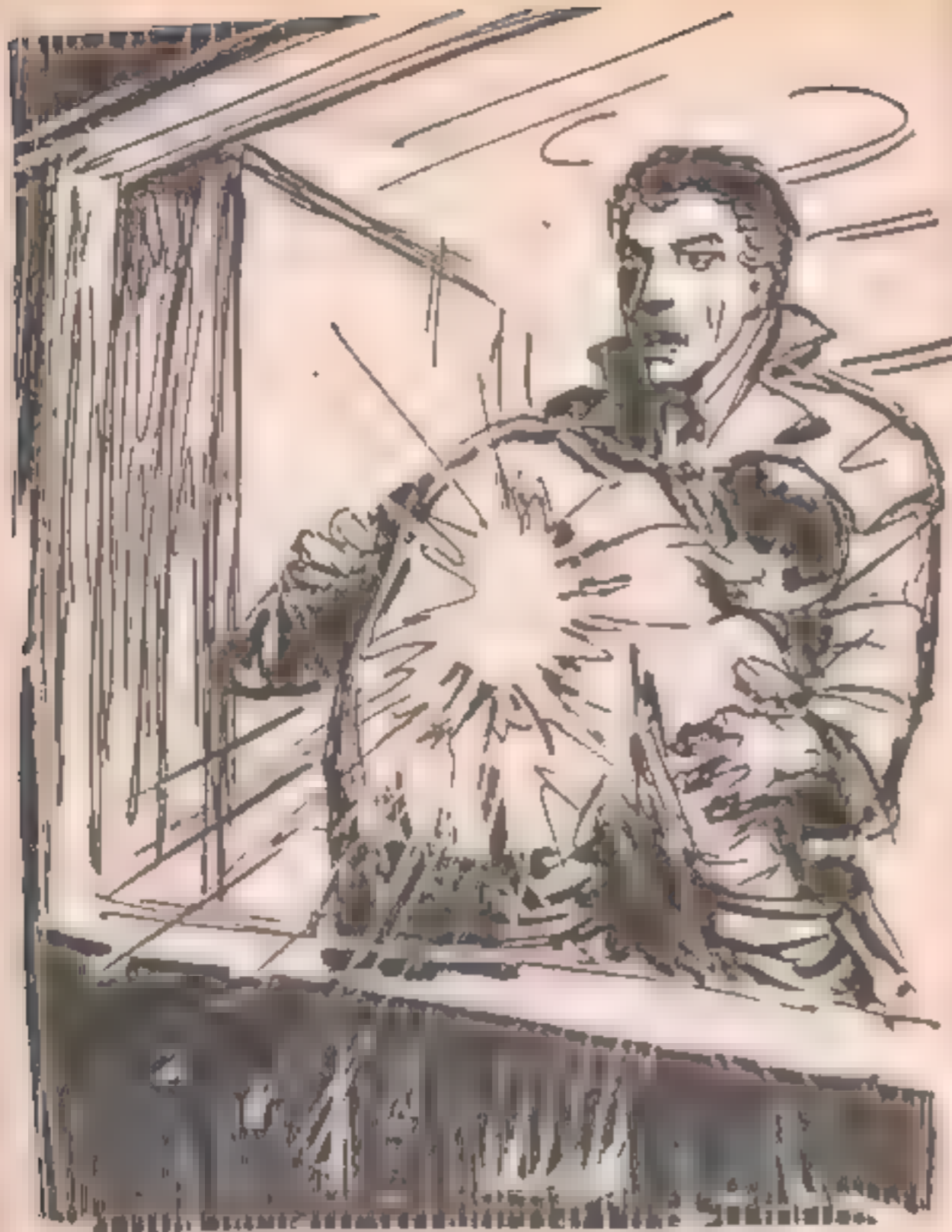
انتزع (أدهم) من جيبه صورة لـ (سونيا جراهام)

وضعاها أمام وجهه ، قائلا :

- أتعبه هذه المرأة ؟

تطلع الجنرال إلى الصورة فى توتر ، قائلا :

- لا يمكننى الرؤية جيدا .. الإضاءة ضعيفة . و



جذبه (ادهم) الى حوار نقاشية . التي يتسلسل عبرها
صوء مصباح الشارع . وهو يسأله في صرامة :
- هل تراها جيدا ؟^١ هل تشبه السنيورا ؟
ازدرد الجنرال لعابه في صعوبة . وقال :
- الواقع أنها ..

وقبل ان يتم عبارته . اتسعت عيناه في ألم مذعور .
في نفس اللحظة التي تحطم فيها زجاج النافذة خلفه
مباشرة . ثم ..

ثم سقط جثة هامة . بين ذراعي (ادهم) .
وكان هذا يعني ان الأفعى لا تدخر وسعا للفوز هذه
المرة ..
وبأى ثمن .

* * *

لله

لله

ثم سقط جثة هامة . بين ذراعي (ادهم)^١

وكان هذا يعني ان الأفعى لا تدخر وسعا للفوز هذه المرة

٤ - خطوة بخطوة ..

ارتسمت ابتسامة واسعة . تفيض بالارتياح . على شفطي الدكتور (أحمد صبرى) ، وهو يعدل منظاره الطبي فوق أنفه . قائلا : (قدرى) :

- يبدو أن (أدهم) و (منى) لن يتوقفا عن إبهارى دوما يا (قدرى) . لقد حطمت (منى) كل القواعد الطبية المعترف بها . وأصابت فريقا من أفضل أطباء الولايات المتحدة الأمريكية بدهشة عارمة . جعلتهم يراجعون كل ما تعلموه منذ حدثتهم . فى محاولة لفهم ما حدث .

مسح (قدرى) دموعه . وهو يبتسم فى حنان . قائلا :

- لقد استجاب الله (سبحانه وتعالى) لدعائى .

أشار إليه الدكتور (أحمد صبرى) وهو يقول :

- بالتأكيد . فلا يوجد أى تفسير علمى لما حدث ..

التفسير الوحيد الذى نؤمن به . أنت وأنا ، والذى لن يقتنع به الأمريكيون قط . هو أنها معجزة إلهية . وأن الله (سبحانه وتعالى) يؤكد لنا أن الأعصار بيده وحده

سبحاته . وأنه ما من براعة طبية يمكنها أن تتجاوز هذه القاعدة .

وتشهد مرة أخرى فى ارتياح . مستطردا .

- أنظر ماذا حدث !.. الكل أجمعوا على أن (منى) تحتضر . وتلفظ أنفاسها الأخيرة . بل وتشكوا فى قدرتها على البقاء . حتى يصل (أدهم) من (سويسرا) . ثم فجأة . يأتى (أدهم) . ويهمس فى أذنها ببضع كلمات . وهو يحتضن كفها فى حنان . فينشط جهازها المناعى فجأة . وتستيقظ الخلايا الرمادية المنهكة فى مخها . وتعود أجهزتها الحيوية للعمل . حتى أنها لا تحتاج للبقاء داخل جهاز الرئة الصناعى . وتعود إلى حجرة الرعاية الفائقة .. بل ويؤكد الزملاء أنه لو استمر التقدم على هذا المنوال . فمن المحتمل جدا أن تستعيد وعيها . خلال شهر واحد على الأكثر .

تهذج صوت (قدرى) وهو يقول :

- حمدا لله .. حمدا لله .

أوما الدكتور (أحمد) برأسه إيجابا . وكأنه يؤيده . قبل أن يسأل فى اهتمام :

- ولكن أين (أدهم) ؟.. كيف يمكنه أن يترك (منى)

في هذه المرحلة ، انه صاحب الفضر . بعد الله
(سبحانه وتعالى) . في اجتيرها لتت المرحلة البانغة
الحسسية من غيبوبتها . ثم انه لا يحب سواه . فكيف
لا يكون هـ . ويتشهد بنفسه لحظة الانتصار المرحلي
هـ ؟

أجابه (قدرى) في حزم :

- لا يمكن أن يتخلى (ادم) عن حبه لـ (منى) قط
يا دكتور (حمد) . ولا يمكنه ان يبتعد عنها . الا من
أجل حبه الأول ..

سأله الدكتور (أحمد) في دهشة :

- حبه الأول ؟!

أوم (قدرى) براسه إيجاب ، قبل أن يقول في
حسم :

- نعم .. حبه الأول .

وارتفع راسه في حزم . وهو يضيف بصوت متهدج :
- (مصر)

وكان في هذا القول الكفاية ..

* * *

انطلق القاس رصاصته ، من بندقيته المزودة بمنظار
مقرب وكاتم نصوت . وصاب موخرة عنق الجنرال

تصاب ثم قفز من مكانه . وانطلق يعدو بكر قوته .
حتى يمكنه الفرار . قبل ان يلحق به (ادم) . وتب
عبر سور منزل آخر . ثم انطلق عبر الحديقة . و
وحدة . برزت (جيهان) ادمه . وهي تقول في
سخرية :

- ليس بهذه السرعة أيها الوغد

ومع قولها . هوت قبضتها على وجهه بكمة قوية .
اسقطته على ظهره في عنف . فصرخ في غضب . وهو
يصوب إليها بندقيته :
- أيتها الحفيرة .

ركنت البندقية من يده بضربة سريعة . وهي تقول :
- يا لك من وقح ! . اهكذا تخاطب فتاة محترمة منى .
هـ وافق على قدميه . ولوح بقبضتيه . هاتفا .
- ساسحقت أيتها اللعينة ! ف من احد يفعل هذا معي .
قالها . وهوى بقبضته على فكها . الا انها مالت
بظهرها في مرونة مذهمة . حتى عبرت قبضته فوقها .
وهي تقول :
- هل تعتقد هذا ؟

ثم وثبت فجأة . وركلت نعه بقدمها ليمسى .
مستطردة :

- إما أنك مخطيء ، أو ...

ودارت حول نفسها بسرعة ، لتحطم اسنانه بقدمها اليسرى ، قبل أن تضيق :

- أو أنني أفضل من كل من التقيت بهم من قبل .
سقط القاتل في عنف ، وهو يتأوه في ألم . فالتفت عليه في سرعة ، ولوث ذراعه خلف ظهره ، وهي تجذبه من شعره ، قائلة في سخرية :

- هيا أيها الوغد ، لا داعي للخجل .. اعترف أنني هزمتك .

هتف في غضب :

- هيهات .

ومال بفتة إلى الخلف ، وضرب جبهتها بمؤخرة رأسه في قوة ، فاندفعت على الرغم منها ، وسقطت على ظهرها . واضطرت لترك ذراعه ، فوثب محاولاً استعادة بندقيته ، ولكنه فوجئ بها تقفز نحوه ، وترك البندقية بعيداً ، وهي تقول في غضب :

- أيها الحقير . هل رأيت ما فعلته بي ؟

ثم التفت حول نفسها في سرعة . وضربت رأسه بقدمها ، مستطردة :

- ضربتك ستصنع كدمة في جبهتي

وضمت قبضتيها ، لتتهوى بيها على مؤخرة عنقه . مضيفة في حدة :

- وستفسد شكلنا لثلاثة أسابيع كاملة .

فقد القاتل وعيه . مع عنف الضربة الأخيرة ، فنهضت تنفض كفيها . قائلة في حنق :

- لذا فأنت تستحق هذا .

قالتها ، ورفعت عينيها إلى منزل الجنرال (رالف) ، وهزت كتفيها ، مغضمة :

- لست أرى ما الذي يمكن أن تفعله بدوني يا (أدهم

صبري) ؟ !

في نفس اللحظة التي نطقت فيها عبارتها ، كان (أدهم) يلحظ جثة الجنرال ، ويعيد صورة (سونيا) إلى جيبه ، متمتماً :

- ثابته أخرى وكنت ستحسم الأمر يا جنرال .

ثم نهض متلفتاً حوله في اهتمام ، وراح يبحث ببعض الأوراق في حجرة المكتب ، ثم التقط من بينها ورقة واحدة ، حملها معه إلى خارج المنزل ، حيث أوقفت (جيهان) سيارته في انتظاره . فسألها وهو يتخذ مقعد القيادة :

- أين القاتل ؟

شربت بيدها خلعها ، محبة بانسامة - خرة .
- في الحقيقية نحوية مع بدقيته . بعد ن فرغت
منها الرصاصات بالطبع .
انطق بالسيرة . مفسد
- احسنت

انفقد حاجبا في شدة نقونه انمقتضب . وتمنت لو
به اشعرها بهمية ما فعلت . وتساءلت عما كان يفعل
مع (منى) . في ظروف مشابهة ، ثم لم تثبت ان افنت
نفسها (منى) لا يمكنها ان تتحرك بعثر براعتها .
فمطت شعبيها دون تعيق . ولذت بالصمت لحظة . قبل
ان تسأله :

- هل فزت بشيء ما من الجنرال ، قبل ان يقتله هذا
الوغد ؟

اجابها في اقتضاب :

- ليس بالكثير .

حسها ان يكتفى بهذا القول . ففقت في حدة .

- ليس لي الحق في معرفة نكليل . عن المهمة التي
اجازف فيها بحياتي ؟

سألها في هدوء ، دون ان يلتفت إليها :

- ما الذي تريد من معرفته ؟

ارتبكت مع سؤاله . فالتفت اول ما جال بخاطرهم .
قائلة :

- هل كان الجنرال (رالف ايدن) هو الرجل الذي
نسعى خلفه ؟

ابتسم في سخرية ، قائلا :

- المفترض ان قتله يثبت هذا .

اتفقد حاجباها في غضب . وأشاحت بوجهها . وهي
تقول :

- إذن فأنت تصر على معاملتي بهذا الأسلوب

رمقها بنظرة جانبية . وابتسم وهو يقول في هدوء :

- وما ذنبى ؟.. أنت لا تجيدين إلقاء الأسئلة .

قالت غاضبة :

- فلتحمد الله لأن هذا هو الشيء الوحيد الذي لا
أجيده .

رمقها بنظرة جانبية أخرى ، ثم قال .

- الجنرال اعترف بأنه المسئول عما حدث . ولكنني

لم أجد الوقت الكافي لسؤاله عن اسم الطيار ، الذي قاد

الهليكوبتر ، والنقط المختطفين .

التفتت إليه ، تسأله في اهتمام :

- ألا يمكننا التوصل إليه وحدنا ؟!

هز رأسه نفيا ، وهو يحيب :

- لن يكون هذا سهلا ، فليسرب الذي انطق كان يضم
دسته من الطائرات والطيارين ، وخطوط السير كلها
بالعة السرية . ويتم تحزينها في كمبيوتر وزارة
الدفاع ، تحت كود بالغ التعقيد . ولا يمكن التوصل إلى
معرفة هذا الا بتصريح خاص للغاية
سأنته .

- وهل يمكننا الحصول على مثل هذا التصريح ؟
صمت لحظة ، ثم هز رأسه ، قائلا :
- أعتقد هذا .

قالها ، وانحرف بالسيارة بغة إلى منطقة مهجورة ،
فسأنته في اهتمام .
- إلى أين ؟

أجابها ، وهو يوقف السيارة :

- أتشم الا تكوني قد قسوت كثيرا ، على الوغد
المنفى في الحقيبة الخفية ، حتى لا يعوقنا هذا عن
استجوابه .

ابتسمت ، قائلة :

- في المرة القادمة حدد المدى ، الذي ينبغي بلوغه
بأنصبت

غادر السيارة ، وانتزع القاتل منها ، وسكب على
أنفه بضع نقاط من النشادر (*) المذاب في الماء .
فانتفض . وحدث في وجهه (أدهم) في شيء من الذعر ،
وهو يستعيد وعيه ، فسأله هذا الأخير في صرامة :

- من أرسلك لقتل الجنرال ؟

أجاب الرجل على الفور :

- لم أحضر خصيصا لقتله . إنني أراقبه طوال
الوقت ، منذ مساء أمس ، والأوامر لدى أن اتخلص منه
فورا . لو حاول أي شخص استجوابه ، حتى لا يبوح
بما لديه .

سأله (أدهم) :

- ومن أصدر إليك هذه الأوامر ؟

أجابهُ وهو يرتجف :

(*) النشادر مركب من الهيدروجين والأكسجين ، بنسبة ثلاثة إلى
واحد ، وهو غاز لا لون له ، بعد التبريد . سريع الذوبان في الماء .
محلوله المشوي قوي التآكل ، اذا اتحد جزيء النشادر مع ايون هيدروجين
تحتوى إلى ايون (امونوم) موجب الشحنة ، لا يوجد حرا قط ، وإنما فقط
في مركبات ، ونسبة امداد النشادر بالتصط ، وديت بمعمل في صناعته
الثلج ، ويوجد مع مركباته في الهواء . والمواد البيئية الحيوية
المنحلة

- (جون) (جون بارك) مدير منهي
(بلوكاتس) إنني اتعامل معه دائما هذه كل
الحقيقة .. أقسم لك .

تطلع (ادهم) إلى عينيه لحظة . ثم قال في حزم .
- أنا أصدقك .

وهو على انه بغتة بكمة كالتقبضة . اسقطته فاقد
الوعي . فالتقى جانبا . والتقط البندقية من حقيبة
السيارة . ولفاها إلى جواره . و (جيهان) تساله في
دهشة :

- لماذا فعلت هذا ؟

أجابها . وهو يعود إلى مقعد القيادة :

- أريد أن يجده رجال الشرطة هن . عندما يحضرون
لإلقاء القبض عليه . ولست أرغب في إضاعة الوقت في
تقييده .

سألته في دهشة :

- وكيف سيحضر رجال لشرطة إلى هنا ؟

ابتسم في سخرية ، وهو يقول :

- نحن سنبلغهم هاتفيا أيها العبقريّة

انعقد حاحبها مرة أخرى في حلق . وهي تجلس إلى
جواره ، قائلة :

- لم أتصور انه من المفترض ان نهتم بهذا "

أجابها ، وهو ينطلق بالسيارة :

- ذلك الوغد قاتل محترف . وسيساعدني ان اسهم في
إلقائه خلف القضبان . او إرساله إلى الكرسي
الكهربائي .

ابتسمت ، قائلة :

- لم اكن اعلم انك مصلح اجتماعي ايضا

أجابها في برود :

- الان علمت .

ضايقها قوله وجوابه . فعقدت حاجبيها بضع

لحظات ، ثم غمفت :

- هل سنتجه الان إلى منهي (بلوكاتس) . لاستجواب

(جون بارك) هذا ؟

هز رأسه نفيا ، وهو يقول :

- (جون بارك) يمكن أن ينتظر . فهو لن يفلح

منهاه ويبدأ بتفرار . لمجرد ان قاتله المحترف وقع

في قبضة الشرطة . فلا ريب أنه يستطيع إثبات عدم

تورطه ببساطة .

سألته في اهتمام :

- ما خطواتنا التالية إذن ؟

أجابها في حزم :

- أن تراجع خط سير طائرات الهليكوبتر ، لمعرفة
الطيار الذي التقط المختطفين .

قالت في دهشة :

- وكيف السبيل إلى هذا " ألم تقل إن الحصول على
هذه المعلومات يحتاج إلى تصريح خاص للغاية ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- ويتوقع الجنرال (رالف آيدن) شخصياً .

ارتفع حاجباها في دهشة أكبر ، وهي تقول :

- إذن لمن المستحيل أن نحصل على مثل هذا
التصريح .

أجاب في هدوء :

- بل أعتقد أنه هناك من يمكنه أن يمنحنا التصريح
اللازم .

سألته في اهتمام :

- أهو أحد الجنرالات الآخرين ؟

هز رأسه نفياً ، وهو يجيب :

- بل هو شخص قريب . قريب جد

قائلها ، ووجهه يحمل ابتسامة غامضة

غامضة للغاية .

* * *

« أنا ؟ ! »

هتف (قدرى) بالكلمة في دهشة بالغة ، وعيناه
تسعان بشدة ، محدقا في وجه (أدهم) ، الذي أجابه في
هدوء :

- نعم يا (قدرى) أنت . أنت الشخص الوحيد
الذي أثق في قدرته على تزوير خط الجنرال (إيدن) ،
وترقيعه لمنحنا التصريح المنشود .

هز (قدرى) رأسه في توتر ، غير مصدق لما
يسمعه ، وانخفض صوته ، وامتلا بهارته وحزنه ،
وهو يقول :

- ولكنك تعلم ما أصابنى .. هل نسيت كيف حطموا
يدي ، و ... (*)

قاطعه (أدهم) في حزم :

- كلاً يا (قدرى) .. لم أفس قط ما فعله بك هؤلاء
الأوغاد ، ولكننى لم أفس أيضاً أنك أفضل مزور رسمي
عرفه التاريخ ، وأنه ليس من السهل أبداً أن يفقد مثلك
مهارته ، حتى لو تحطم رأسه وليس كفه .

اغرورقت عينا (قدرى) بالدموع ، وهو يقول .

(*) راجع قصة (الصرية المدسة) المعامرة رقم (١٠٠)

- ثم لا تفهم يا (أدهم) المتسكنة ان الاصابع لا
تستجيب بسهولة ، نعمت هذه الاعمال الدقيقة ، بعد فترة
الكمون الطويلة ، التي قصتها في العلاج
هز (أدهم) رأسه في حزم ، قائلا :

- هراء ، لقد استشرت طبيبك المعالج ، واكد لي أن
يدت استعددت الكثير من طبيعتها بالفعل ، وان المرحلة
القادمة تعتمد ، أكثر ما تعتمد ، على إرادتك الشخصية ،
ورغبتك في استعادة كيانك .

حدق فيه (قدري) مبهوتا ، ثم رفع يده امام وجهه ،
وتطلع إليها في حيرة ، متمتنا :
- هو قال هذا ..

أجاب (أدهم) بنهجة حاسمة :
- بالتاكيد .

ثم اخرج من جيبه تلك الورقة ، التي حصل عليها
من مكتب الجنرال ، وناولها اياها ، مستطردا :
- ها هي ذى عينة من خطه وتوقيعه ، وأنا واثق من
أنك لن تخذلني .

وامسك كتفيه في قوة ، وتطلع في عينيه مباشرة ،
قائلا :

- أنا أثق بك تعلم الثقة .

و شرت (جيهان) ان تتبعه ، وهو يغادر المحبرة ،
مضيفا :

- ان في الانتظار ، فليس امامنا الكثير من الوقت
غادرت (جيهان) المحبرة معه ، وغقت بابها على
(قدري) ، ثم سالت في فضول و اهتمام
- هل أخبرك طبيبه بهذا حقا ؟
هز رأسه نفيا ، وهو يجيب في هدوء ،
- كلا .

سألته في دهشة :

- لماذا حاولت إقناعه بهذا إذن ؟
استدار إليها في صمت ، وتطلع إلى وجهها لحظة ،
قبل أن يجيب :

- (قدري) أقرب وأحب الأصدقاء إلى قلبي ، وأنا لم
أكذب قط ، عندما قلت إنني أثق به تمام الثقة ، فهو
محترف في محاله ، وإنسان مخلص وحساس إلى
أقصى حد ، ولن يفهم الأطباء طبيعته قط ، لن يمكنهم
أن يدركوا ما يمكن أن تفعله به الإرادة ، ثم انه
سيستفرد كل قواه ، وكل إرادته ، عندما يعلم اننا بحاجة
إليه ، وانه امنك الوحيد ، وعندما ستفجر ينبوع القوة
في اعماقه ، ويندع بركان حماسه ونشاطه ، وتبرر

قدراته المدهشة إلى المطلق ..

والتقظ نفسا عميقا ، قبل أن يصيف في حسم :

- وسونجج بإذن الله .

سألته مبهورة :

- أفعل كل هذا ، من أجل نجاح المهمة ؟

هز رأسه نفيا في صلابه ، وهو يجيب :

- كان بإمكانى أن أجد حلا بديلا لإتمام المهمة .

ولكننى فعلت هذا من أجل (قدرى) ..

اتسعت عيناها ، وهى تتطنج إليه فى اتبهار ..

وخفق قلبها فى عنف ..

كم هو رائع وعظيم ..

كم هو قادر الوجود ..

وكم تحبه ا..

إنها لا تستطيع نسيان هذا أو تجاهله ، مهما بذلت

من جهد ، ومهما حاولت إقناع نفسها بالعكس ، أو بأن

قلبه ملك له (منى) ، ولن يكون أبدا ملكا لها .

ولكن لماذا تقاوم حبه ؟!

لماذا تتعذب لمقاومته ؟!

فنتنعم بلحظات قربه لحسب . دون التفكير فى

تفاصيل أخرى ..

ربما لا يكون أبدا لها ، ولكنها ستظل تصرخ بحبه

فى أعماقها ، حتى آخر لحظة فى حياتها ..

ستظل تحبه ..

تحبه ..

تحبه ..

وبكل الانفعال الجارف فى أعماقها ، هتفت :

- أنت رائع ،

ابتسم فى هدوء ، قائلا :

- أشكرك يا زميلتى العزيزة .

رقصت الكلمة فى قلبها ، كما يحدث فى كل مرة ،

فاقتربت منه مبتممة ، وهى تقول :

- أمن الضرورى أن أسقط فى غيبوبة عميقة ، حتى

تقع فى حبى ؟

لم تكذ تنطقها ، حتى شعرت بندم شديد على ما

تفوهت به ..

لماذا أقحمت غريمتها فى عبارتها ؟!

لماذا ربطت قلبها بها ؟!

ولماذا ذكّرت به بأمراها ؟!

لا ريب فى أنه سيستعيد حزنه ومرارته ، و ...

ولكن مهلا . لقد حملت شفتاه ابتسامة حنون ، بدلا

من حزنه المتوقع ، وهو يقول :

- إننى أحبها قبل هذا بكثير .

تمرق قننها للعبارة . واقبعت نفسها بآنها المسبولة
عم اصابها . لانها دفعت تفكيره نحو (منى) . وكادت
الدموع تقفر من عينيها فقدومتها بشدة . فى نفس
اللحظة التى فتحت فيها (قدرى) باب حجرته . وندموع
تغرق وجهه ، وهو يقول :
- لقد فعلتها .

ومد يده الى (أدهم) بالتصريح . الذى يحمل توقيع
الجنرال (رافيدن) . ثم لم يتمالك نفسه . فاندفع
يعانق (أدهم) . وهو يئن فى حرارة . قائلا :
- كيف أشكر يا صديقى ؟ كيف أشكر .
ومع هذا الموقف الانفعالى . توقفت (جيهان) عن
مقومة دموعها . وتركبتها تنسكب على وجهها .
وبكل حرارة .

* * *



٥ - ليلة بلا نهاية ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف
الليل . عندما انقضى الضابط المسئول عن الوثائق
الايكترونية نظرة على التصريح . الذى قدمه إليه
(أدهم) . ومطأ شفتيه . قائلا :

- لست أدري ما الداعى للقيام بهذا الفحص . فى
ساعة متأخرة كهذه ! . ألا يمكن الانتظار حتى الصباح ؟
هز (أدهم) رأسه نفيا فى حزم . مجيبا .
- كلا .. الأمر يخص الأمن القومى . ولا يمكنه
الانتظار لحظة واحدة .

مط الرجل شفتيه مرة أخرى . ثم هز كتفيه . وأشار
إلى (أدهم) و (جيهان) . قائلا :
- فليكن .. اتبعانى .

قادهما عبر ممرات المبنى إلى حجرة كبيرة . احتشد
فيها عدد من أجهزة الكمبيوتر الحديثة . واتجه إلى
أحدها . وضغط أزراره . ثم أشار إلى شاشته . قائلا
- الكمبيوتر مستعد الآن لإجابة تساؤلاتكما هل
تحتاجان إلى وجودى ؟

أجابته (جيهان) مبتسمة :

- لو احتجنا إلى وجوبك منطلق هذا على الفور .

لوح بيده ، قائلا :

- فليكن .. انتهاء من عملكما ، وسأنتظركما في

مكتبي .. إلى اللقاء .

غادر الحجرة في بساطة ، وتركهما وحدهما داخلها .

فهزت (جيهان) رأسها ، قائلة :

- كم تدهشني سهولة الحصول على المعلومات هنا .

أجابها (أدهم) ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر في

سرعة :

- لديهم هنا قانون . يمنح أي مواطن الحق في

الحصول على أية معلومات عامة ، بعد سداد الرسوم

المطلوبة ، كما يمكنه الحصول على المعلومات

العسكرية المتاحة ، بتصريح خاص من المسؤولين

العسكريين (*) .

جلست إلى جواره ، قائلة :

- أنيس من العجيب أن ينطبق هذا على المعلومات

العسكرية أيضا ؟

هز رأسه نفيا ، وهو يجيب :

- مطلقا .. فالقانون وضع الكثير من الضوابط . في

هذا الشأن ، وهذا يضمن عدم التفريط في المعلومات

الخاصة أو السرية .. فقط المعلومات البسيطة ، كنوع

ثياب الجنود ، وطرق تقديم الطعام لهم ، ومواعيد

المناورات الرسمية ، وغيرها . وهذا لا ينطبق على ..

بتر عبارته بفتة ، مع المعلومات التي تراصت على

الشاشة ، مع خريطة للعاصمة ، رسمت فوقها خطوط

سير الطائرات ، التي انطلقت في الرحلة التدريبية ، في

تلك الليلة ، وتراجع قائلا :

- يبدو أن المهمة لن تكون سهلة ..

كانت خطوط السير كلها بعيدة عن ذلك العمار ، الذي

اتخذته الهليوكوبتر ، التي التقطت المختطفين ، وهذا

يعني أن تلك الهليوكوبتر أجرت تعديلا محدودا في خط

سيرها ، لتتم هذه المهمة غير الرسمية سرا .

وبعض أيضا أنه على (أدهم) أن يستعين بكل خبراته

المسابقة في عالم الطيران ، لتحديد الهليوكوبتر

المنشودة ..

كل خبراته ..

* * *

أوقف مفتش المباحث الفيدرالى (دين هاتكر) سيارته . أمام منزل الجنرال (ايدن) . وغادرها فى هدوء . وهو يلقي نظرة شاملة على ذلك الحشد من رجال الشرطة ، والصحافة . ورجال البحث الحثائى ، والفحص ، والطب الشرعى ، والعامه ، الذين أحاطوا بالمكان . ثم عدل سترته ، وبرز شارته . قائلا

- مباحث فيدرالية أفسحوا الطريق

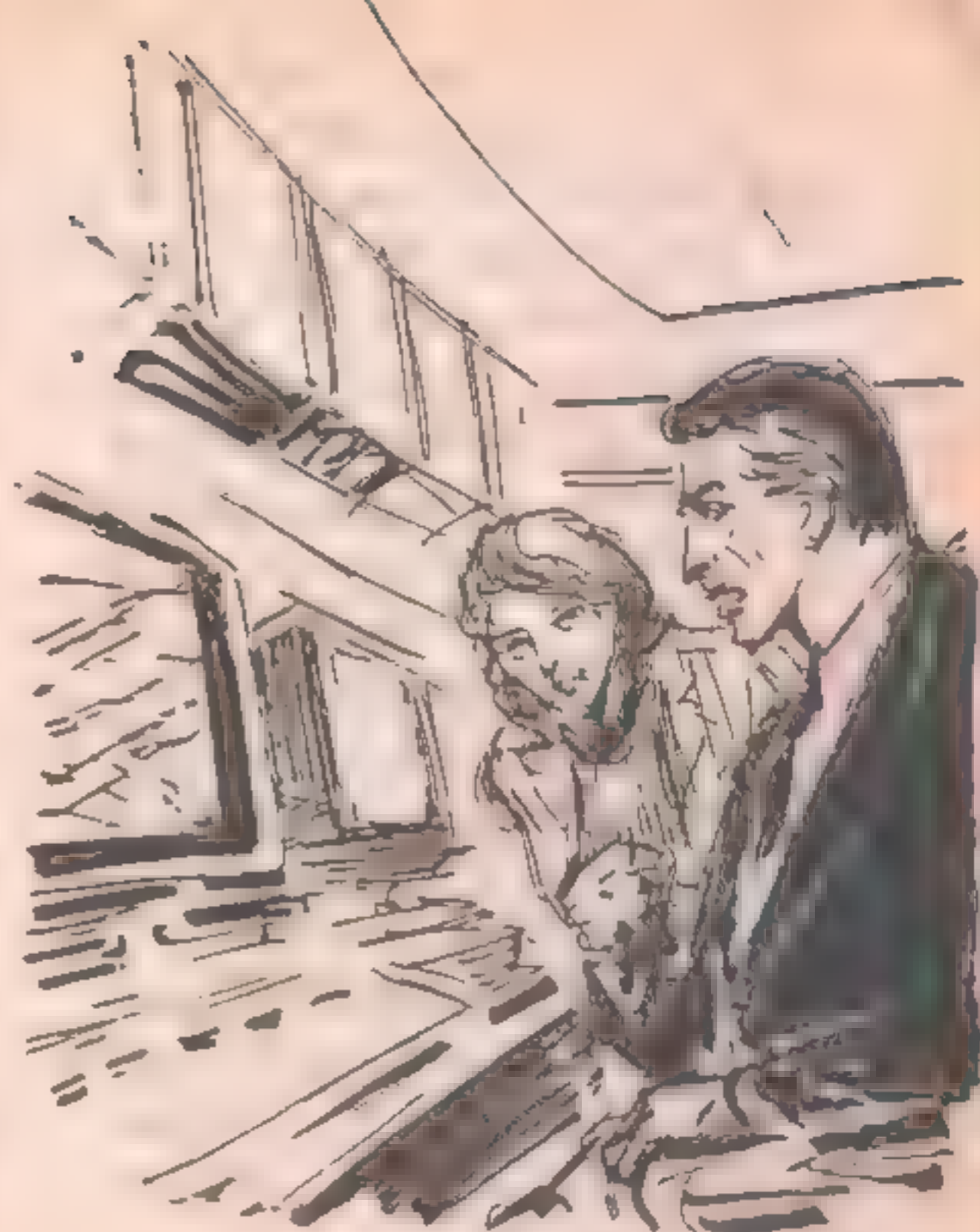
وعلى الرغم من صفته الرسمية ، شق طريقه إلى المنزل فى صعوبة ، وهو يفهم :

- كل هذا فى الواحدة والنصف صباحا؟ ماذا إذن لو أن الجريمة ارتكبت فى منتصف النهار
استقبله مفتش الشرطة الجنائية (ملفن) بابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- مرحبا يا (هاتكر) . إذن لقد أيقظوك أنت أيضا .
أجابه (هاتكر) ، وهو يضافحه فى بساطة .
- مقتل جنرال فى القوات الجوية ليس بالأمر البسيط يا رجل .

أشار (ملفن) بيده ، قائلا :

- نقصد اغتياله ، فالوسيلة التى تم بها القتل أقرب إلى الاغتيال السياسى ، منها إلى القتل العادى . انظر



كتب عنه من السير كيف عبده عن ديف لمار ، الذى عدته

الملوك كوبر ..

لقد كان يستند إلى النافذة . عندما تلقى الرصاصة في
مؤخرة عنقه ، فسقط على وجهه ، وتحطم أنفه تماما .
عقد (هاتكس) حاجبيه ، وهو يتأمل ما حوله في
اهتمام ، وتطلع لحظة إلى جثة الجنرال ، ثم إلى موضع
الرصاصة . التي حطمت جزءا من زجاج النافذة . قبل
أن يسأل :

- ولماذا يستند بظهره إلى النافذة ؟

هز (ملفن) رأسه ، قائلا :

- كل شخص حر فيما يفعله في منزله .

ثم تنهد ، مستطردا :

- ولكن الأمر لا يقتصر على هذا .

سأله (هاتكس) في اهتمام :

- ماذا تعنى ؟

أشار إلى أحد الأركان ، مجيبا :

- عندما فحصنا المكان في البداية ، كنا نبحث عن آثار

رصاصات أخرى ، أو ما يشير إلى حدوث شجار ،

أو علامات مقاومة ، إلا أن البحث قادنا إلى مفاجأة غير

متوقعة

وصمت لحظة . وهو يلتفت إلى (هاتكس) ، قبل أن

يضيف في هزم :

- أجهزة تصنت مزروعة في كل الحجرات .
ازداد اتعقاد حاجبي (هاتكس) في شدة ، وهو يقول
في انفعال :

- أجهزة تصنت في كل الحجرات ؟! .. إذن فهو ليس

اغتيال عادي .. إنه عمل من أعمال التجسس !

سأله (ملفن) في حيرة :

- ولكن ما فائدة التجسس على رئيس فريق التدريب ؟!

أجابه (هاتكس) :

- ربما كان هذا جزءا من برنامج تجسس عام ، على

كل جنرالات الجيش .

سأله (ملفن) :

- لماذا قتلوه إذن ؟!

بدت الحيرة على وجه (هاتكس) وهو يفهم :

- ربما كان لديهم دافع لهذا .

وصمت لحظات مفكرا ، قبل أن يسأله في اهتمام بالغ :

- قل لي يا (ملفن) : هل كان الجنرال (أيدن) يتولى

عملا خاصا ، في الآونة الأخيرة ؟

أجابه (ملفن) ، وقد أدرك ما يرمى إليه :

- لا يمكنني الجزم بهذا .. لا بد من سؤال القوات

الجوية مباشرة .

لتقط (هاتكس) سماعة الهاتف . قائلا :

- بالتأكيد . ودون إضاعة لحظة واحدة

انطلق رنين الهاتف . فى مكتب ضابط الوثائق
الإليكترونية . المسئول عن القاعدة الجوية الرئيسية .
فى تلك النوبتجية الليلية ، فالتقط سماعة الهاتف . قائلا :
- القاعدة الجوية الرئيسية .. من المتحدث ؟

أتاه صوت المفتش (هاتكس) ، وهو يقول :

- هنا المفتش (دين هاتكس) . من المباحث
الفيدرالية ، اريد معرفة بعض المعلومات الخاصة . حول
الجنرال (رالف أيدن) .

ارتفع حاجبا الضابط . وهو يقول فى دهشة :

- عجباً ! ماذا أصاب الجنرال (أيدن) هذه
الليلة ؟ فى البداية يرسل الصحفي وزميلته فى
الواحدة صباحاً ، للحصول على المعلومات ، ثم
تطلبون أنتم معلومات عنه ، فى الواحدة والنصف .. قل
لى يا رجل المباحث الفيدرالية : هل أصبح الجنرال
(أيدن) فجأة هو مركز الكون ؟!

هتف (هاتكس) :

- الجنرال (أيدن) لم يعد مركزاً لأى شىء فى الكون
كله يا رجل . لقد لقي مصرعه مات . اغتاله بعض

الأوغاد . واعتقد بمدة ان الرجز والفتاة . الذين حضروا
للحصول على المعلومات . لهما يد فى مصرعه
فقر الضابط من مقعده . هاتفا :

- ماذا ؟! . الجنرال (أيدن) قتل ؟! يا للشيطان !
اسمع يا رجل المباحث الفيدرالية الرجز والفتاة
ما زال هنا . وسنلقى القبض عليهما فوراً
هتف (هاتكس) :

- لا تسمح لهما بالخروج من القاعدة . حتى أصل
إليك لاستجوابهما .

وأهى المحادثة بسرعة . ليهرع إلى سيارته . فى
حين أعاد الضابط السماعة إلى موضعها . وهو يقول
بغضب هائل :

- اللعنة ! قتلاه ثم أتيا للحصول على المعلومات !
يا للوقاحة !

وعض شفتيه فى غضب . ثم هتف :

- ولكنهما سيدفعان الثمن سيدفعان الثمن غالياً
وضغط زر استدعاء طاقم الأمن . وهو يضيف فى
ثورة :

- وليذهب الاستجواب إلى الجحيم . قتلة الجنرال
سيلحقان به الليلة .

واندثعت النيران من عيبه . وهو مستطرد :
- وبلا رحمة ..

وحمل مدفعه الآلى ..

وخرج للقاء طاقم الأمن ..

* * *

أشار (أدهم) بسبابته فى حزم . إلى أحد الأسماء
المدونة على الشاشة . وهو يقول :

- ها هوذا .. (مايكل فريمان) . إنه رجلنا .

مألتة (جيهان) فى اهتمام :

- أنت واثق من أنه قائد للطائرة . التى التقطت
المختطفين ؟

أجابها فى حزم :

- إنه الوحيد الذى يمكنه تغيير خط سيره . دون أن
يشير الكثير من القلق أو الشكوك . فلن يكون مضطراً
إلى الانحراف بزوايا حادة لتغيير المسار . وإنما سيدور
بنصف دائرة حول مركزه . فيلتقط المختطفين . ثم يعود
إلى خط سيره الرئيسى . ويهبط بهم فى مكان ما خارج
العاصمة .

ابتسمت . وهى تتطلع إليه فى إعجاب . قائلة :

- قل لى . أوجد ما تجهله فى هذا العالم ؟

أجابها فى جدية :

- بالتاكيد .. لا أحد يجيد كل شيء .

ثم ضغط أزرار الكمبيوتر مرة أخرى . مستطردا :

- المهم الآن ان نحصل على نسخة من بيانات
(مايكل فريمان) هذا . حتى نذهب لمقابلته . قبل ان
يستيقظ من نومه .

هتفت :

- الليلة ؟!.. إتنا لم نتم لحظة واحدة . منذ عودتنا
من (سويسرا) .

قال فى حزم . وهو يراقب الطابعة . التى تطبع
بيانات الطيار :

- النوم يمكن أن ينتظر .

مطت شفيتها . قائلة :

- ولكن قلة النوم تفسد البشورة . وتصنع هالات
سوداء حول العينين .

ابتسم . وهو يلتقط ورقة الطابعة . ويدسها فى
جيبه . قائلاً :

- أخبرينى : هل يفتك مظهرك هذا دائماً ؟

هزت كتفها بشيء من الدلال . قائلة :

- ألا يستحق هذا ؟

هز رأسه ، وهو يضحك قائلا :

- يا للنساء !

ثم نهض مستطردا :

- و لان هيا بنا ، سنغادر هذا المكان ، قبل ان

يتر عذرتة بغثة ، وهو يتطوع عبر النفذة الزجاجية
الصغيرة الى العمر المقبل للحجرة . حيث وقف ضابط
الوثائق ، ينقى بتعليماته لعدد من الرجال ، الذين
يحملون مدافعهم الآلية في تحفز . وعيونهم ترمق
الحجرة في صرامة ..

وفي اللحظة نفسها ، قنت (جيهان) في توتر .

- يبدو أنهم كشفوا أمرنا .

غمغم :

- هل لاحظت هذا ؟

أجاب بسرعة :

- أديك تفسير آخر لما يفعلونه ؟

هز رأسه نفيا ، وقال :

- كلا ، ولكننا سننظّاهر باتّ نم ندرك هذا تعالى .

وغادر الحجرة في هدوء . ورسم على شفّتيه
ابتسامة كبيرة . وهو يتقدم نحو الضابط ، قائلا .

- اه انت هنا ايها الضابط كنا في طريقنا إلى
مكتبك . نقدم لك شكرنا على تعاونك . و

وفجأة . وثب نحوه . وامسك يده ، لينوي ذراعه
خلف ظهره . ثم يدفعه امامه في قوة نحو رجاله .
(جيهان) تعدو خلفه في حماس ..

ومع الحركة المباشرة . تراجع رجال الامن الأربعة
في دهشة . ورفعوا فوهات مدافعهم الآلية نحو (أدهم)
و (جيهان) . إلا ان أحدهم لم يجرو على إطلاق
رصاصة واحدة . و (أدهم) يتخذ من ضابطهم درع ،
ويندفع به نحوه . والضابط يصرخ .

- ماذا تفعل أيها اللعين ؟ ماذا تفعل ؟!

أجابه (أدهم) ، وهو يدفعه نحو رجاله في قوة :

- أسرق منك زمام المبادرة أيها العبقري .

ارتطم الضابط بأثنين من رجاله في عنف ، في نفس
اللحظة التي وثب فيها (أدهم) ، ليركل المدفع الآلي من
يد الرجل الثالث ، مستطردا :

- وأصنع منك عائقا يصعب اختراقه

تحرك الرجل الرابع بسرعة ، وصوب مدفعه نحو
(أدهم) ، ولكن (جيهان) دارت حول نفسها في رشاقة
مدهشة ، وبركلته في أنفه ، قائلة :

- لا تقصصاتي .. أنا هنا .

تراجع الرجل في عنف ، وهتف :

- أيتها الـ ...

أخرسته بنكمة قوية . فى أسنانه مباشرة . وهى تقول :

- إياك أن تنطقها .

تحطمت اثنتان من أسنانه الامامية . وتفجر الدم من بين شفتيه . فأطلق كعب مدفعه فى وجهها . صارخا والدماء تتناثر مع كلماته :

- سأقتلك .

اتحنت فى سرعة ومرونة ، قائلة :

- لا .. إلا وجهى .

ثم اعتدلت لتفوص قبضتها اليسرى فى معدته . مستطردة :

- إننى أهتم بالحفاظ على نضارته .

اتنسى الرجل ، وهو يتأوه فى ألم ، مع لكمتها القوية . فأنطقت قبضتها اليمنى كالقنبلة . لتحطم أنفه . وتجبره على الاعتدال ، وهى تضيف :

- مهما كان الثمن .

فى نفس اللحظات . التى فعلت فيها هذا . كان (أدهم) يدور حول نفسه . ويلكم أحد رجال طاقم الأمن . فى نفس اللحظة التى يركل فيها الثانى . ثم يثب

فى مرونة . معتمدا على كتف الثالث . لتضرب قدمه أنف الضابط مباشرة . ثم يضرب قدميه فى الجدار . ليدفع الرجل الثالث امامه إلى الجدار المقابل . ويندفع نحوه . ليفوص بقدميه فى معدته . ويجبره على الانحناء . ليحمله فى قوة بدميه . ويضرب برأسه الجدار فى عنف ..

وهتفت (جيهان) فى حماس :

- أحسنت يا سيادة العميد .. أنت تقتل بأسلوب مدهش

جنبها من يدها ، قائلا فى حسم :

- هيا بنا .

انطلقا يعدوان معا خارج المبنى ، وهى تهتف :

- من المؤكد أنهم لن يسمحوا لنا بالخروج . بعد أن

كشفوا أمرنا .

توقف يتلفت حوله . ثم قال فى حزم .

- ومن يطلب موافقتهم ؟! ..

مع آخر حروف كلماته . انطلقت صفارة إنذار فى

المكان . وبرز الضابط بأنفه المحطم من المبنى . وهو

يصرخ :

- أوقفوهما .. لقد قُتلا الجنرال (أيدن)

انطلقا يعدوان بأقصى سرعتيهما . نحو ساحة كبيرة .

تراصت فيها طائرات الهنيوكوبتر . وانطلقت خلفهما واحدة من سيارات (الجيب) العسكرية . تحمّل ثلاثة من الجنود . المسنحين بالمدافع الرشاشة . و لضبط يصرخ :
- اطلقوا النار .. إنهما قاتلان .

نظّفت الرصاصات خلف (أدهم) و (جيهان) . وهما يجريان بأقصى سرعتيهما . فهتفت الأخيرة في توتر :
- كان ينبغي أن نلتقط أحد المدفع الآلية لن يمكننا أن نربح السباق هذه المرة .

هتف بها (أدهم) . وهما ينطلقان في خط متعرج .
تفاديا للرصاصات :

- واصلني الطريق الى ساحة الطائرات ، وارتفعي بأول هليوكوبتر صالحة للإقلاع .

سأنته في دةشة :

- وماذا عنك ؟

صاح في صرامة :

- نفذى الأمر أيتها القيـب . ولا تنتفتى خلفك مهما حدث .

خفق قلبها في قوة . وهو يفنت يدها . ويستدير لمواجهة (الجيب) . ولكنها لم تتوقف عن العدو كانت تتعنى من اعـمق اعـماق قلبها ان تبقى الى

جواره . وان تقـتل معه حتى اخر رمق . الا ان تقـتها الشديدة بقدراته وحصافة ربه . وسرعته في اتخاذ القرار السليم . جعلتها تطيعه طاعة عمياء . وتواصل طريقها نحو الطائرات بأقصى سرعة

أما هو . فقد استدار لمواجهة الجيب . في مبادرة مذهلة . أربكت الجنود الثلاثة . الذين فوجئوا به يتدفع نحوهم في مسار متعرج . تصعب إصابته برصاصاتهم . وكأنه ينقض على السيارة مباشرة . فهتف أحدهم في دهشة :

- ماذا يفعل هذا المجنون ؟!

ومع آخر حروف كلماته . وثب (أدهم) كانت وثبة مذهلة وعجيبة . فقد ارتفع لمترين على الأقل . ثم انقض من أعلى على (الجيب) المكشوفة ومع المبادرة المذهلة . اتسعت عيون الجنود الثلاثة . وتجمدت سباباتهم على أزيدة مدفعهم الآلية . وقبل أن يفيقوا من ذهولهم هذا . كانت قدمه تركز وجه أحدهم . وتنقيه خارج السيارة . وذراعه تحيط بعنق الثاني . وتتزعـه من مقعد . لتلقى به خلف زمينه

وفي توتر بالغ . حاول سائق الحيب ان يستدير لمواجهة . ولكن (أدهم) كال نه لكمة كالتقبلة . وهو يقول :

- تأخرت كثيرا يا رجل .

دفعت اللكمة الرجز في عنف ، فاختل توازنه ،
وحاول ادارة فوهة مدفعه نحو (ادهم) ، إلا أن هذا
الأخير ركله في صدره ، هاتفا :
- أكثر مما ينبغي .

سقط الرجل من السيارة ، وارتطم بالأرض في
عنف ، وراح يتدحرج فوقها ، في حين قفز (ادهم) إلى
مقعد القيادة . ليسيطر على السيارة ، قبل أن تنحرف
عن مسارها ، ويواصل طريقه للحاق بـ (جيهان) ،
التي فزت داخل إحدى طائرات الهليكوبتر ، وراحت
تعدّها للإقلاع بأقصى سرعتها ..

كانت تحتاج إلى دقائق خمس لإعداد الهليكوبتر
للإقلاع . ولكن الضابط المسئول كان يصرخ :
- انطلقوا خلفهما لا تسمحوا لهما بالفرار .

انطلقت ثلاث سيارات (جيب) أخرى خلف سيارة
(ادهم) ، الذي أدرك ضرورة مناورتها لخمس دقائق
كامة . حتى تستعد (جيهان) للإقلاع ، فاستدار بسيارته
(الجيب) ، وانسف نحو السيارات الثلاث ، متوقفا :
- (جيهان) عسى حق كان ينبغي أن نحصل على
أحد المدافع الآلية ..

لم يكذ ينطق عبارته . حتى وقع بصره على المدفع
الآلي ، المنقّى في المقعد الخلفي للسيارة (الجيب) ،
فارتفع حاجباه ، وهتف ساخرا :
- عجبا ! لم أكن أعلم أن السيارة مزودة بمصباح
(علاء الدين) (*) .

ثم التقط المدفع الآلي . وراح يطلق النار على
سيارات الجيب الثلاث ..

وعلى الرغم من أن ركاب السيارات الثلاث تبادلوا
معه إطلاق النار ، إلا أن مهارته في هذا المضمار ،
كانت تفوق مهارتهم مائة مرة ، حتى أن كل رصاصة
أطلقها كانت تعرف طريقها وهدفها جيدا ..

ومن بعيد ، رأى الضابط إشارات السيارة الأولى
تنفجر ، ومبرد الثانية بنهار ، تحت وطأة رصاصات

(*) قصة (علاء الدين) والمصباح السحري قصة عربية قديمة ،
تحدث عن صبي صغير (علاء الدين) ، امتدح بمطبخ مسافر فسرير ،
في الهبوط إلى كهف عميق ، وجلس مصباح سحري معه ، وكس
(علاء الدين) رفض تسليم المصباح ، قبل أن يخرج من الكهف .
فجبه المسافر فيه ، وكشف (علاء الدين) طبيعه المصباح السحري .
واجب الفاعل دخله ، والذي يخرج مع دعك المصباح ، بتفيد كل ما
يطلبه حامله من امنيات

(ادهم) لصابية . و نسيارة انتاشة تتاور للافلات من
رصاصاته ، بدلا من ر نظارده كالمفترض ، فهت باحد
رجالها :

- أعطنى المدفع المضاد للدبابات .

ناولته الرجل مدفعا اسطوانيا كبيرا . انقاد على
كتمه ، وصوبه فى دقة الى سيارة (ادهم) . وهو يقول :
- من سوء حظك ايها الجاسوس . أنتى الفائز الاول
دائما ، فى تدريبات مقاومة الدبابات .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحكم تصويب مدفعه
الى السيارة . مستطردا فى حزم صارم .
- وأنتى لا أخطئ الهدف أبدا .

وضغط زناد المدفع وانطلق الصاروخ المضاد
للدبابات ..

ودوى الانفجار هائلا . والشظايا تتناثر فى دائرة
واسعة . معنة ان الصاروخ قد أصاب هدفا ثميننا
ثميننا ثغرية



٦- الفجر ..

ارتجفت شفتا (قدرى) . وترقرقت عيناه بدموع
انفراح . وهو يراجع نتاج عمله . خلال الساعتين
السابقتين ..

كان قد اخرج عدة اوراق قديمة . وراح ينسخها
بمنتهى الدقة والاهتمام . ثم جلس يتأمل نتيجة عمله
غير مصدق ..

لقد صنع نسخ طبق الاصل من الأوراق . بحيث
يصعب بشدة تفرقة الاصل عن النسخة المزورة .

نفس الخط ..

والأسلوب ..

والتوقيعات ..

تماما مثلما كان يفعل فى الماضى ..

وكان من الصعب عليه أن يصدق هذا

لقد ظل يتردد فترة طويلة . فى العودة الى عمله
القديم . خشية أن يفشل . فيصيبه الاحباط . ويفقد ثقته
بنفسه الى الأبد ..

ولكن (ادهم) وضعه امام الامر الواقع

دفعه دفع الى استنصر طاقته الكامنة . واستعدده
مواهبه الدفينة ..

وكان لهذا الأسلوب ابغ الأثر في نفسه .
يكفيه ان صديق عمره منحه ثقته كلها
وفي موقف بالغ الحساسية ..
لذا فقد أصر على أداء العمل ..
وعلى أكمل وجه ..
وفعلها .

منح (أدهم) ما أراد ..

ومنح نفسه حياة جديدة ..

فجر جديد أشرق في حياته ، بعد ليل حالك طويل ..
وبكل الانفعال والسعادة في أعماقه ، هتف بصوت
متهدج :

- واصديقي (أدهم) كيف أشكر ؟ كيف أعبر
لك عما يجيش في نفسي ؟

وغمرت الدموع وجهه ، وهو يستعيد صورة (أدهم)
في سعادة وامتنان ، ثم لم يلبث القلق أن تسيل إلى
نفسه ، وهو يلقي نظرة على ساعته ، مغففا :

- ترى أين أنت الان يا (أدهم) ؟ أما زلت حيا
ترزق ، ام ولم يستطع اتمام عبارته

فهناك

وفي أعماق أعماقه ..

تبت قلق مبهم خفيف ..

قلق جعل قلبه يحرق في عنف ، وسواله يتكرر
ويتكرر في أعماقه ..

أين أنت يا (أدهم) ؟ ..

أين ؟ ..

* * *

بلغ دوى الرصاصات مسامع المفتش الفيدرالى
(هاتكس) ، وهو يوقف سيارته أمام بوابة القاعدة
الرئيسية ، فأبرز بطاقة لهارسها ، وهو يسأله في توتر
بالغ :

- ماذا يحدث بالداخل ؟ هل اشتعلت الحرب ؟

أجابه الحارس بسرعة ، وهو يفتح البوابة ، ليسمح
له بالدخول :

- هناك جاسوسان بالداخل ، والرجال يحاصرونهما
للقضاء عليهما .

هتف (هاتكس) :

- انقضاء عليهما ؟ من الاحمق الذى أصدر مثل

هذا الأمر ؟

ارتبك الحارس ، وهو يقول :

- الضابط المنيوب .. لقد ..

لم ينتظر المفتش (هاتكس) حتى يتم الرجل عبرته ، وإنما انطلق بقصى سرعته إلى الداخل ، وهو يقول لنفسه في غيظ :

- يا للحمقى الأغبياء ! يحاصرون الجاسوسين في القاعدة ، ثم يسعون لقتلهم ! هكذا رجال الجيش دائما لا يدركون أهمية الاستجوابات والتحقيقات ، والسعي خلف الحقيقة ، التي تختفي وراء أي حادث غير تقليدي كل ما يفكرون فيه هو العنف والقتل والسمير ، دون عقل أو تفكير يا للسخافة !

كان يطلق بسيارته نحو ساحة طائرات الهليكوبتر ، عصف شاهد الضبط يطلق صاروخه نحو سيارة (الجيب) ، التي ينطلق بها (أدهم)

ثم شاهد (أدهم) ينحرف بالسيارة بسرعة مذهشة ، ومهارة تستحق الإعجاب ، ويدور بها حول نفسها في براعة ، بحيث تحوزها الصاروخ بنصف متر فحسب . ووص طريقه بسرعة محيقة ، حتى ارتطم بواحدة من طائرات الهليكوبتر الحربية ، التي انفجرت بدوى

هائل . وتناثرت شظاياها في مساحة واسعة

وبكل الحق في عماقه . صرخ المفتش (هاتكس) :
- أيها التمس - هذه الطائرة تماوى سبعة ملايين دولار على الأقل .

التفت إليه الضابط ، وصاح في غضب

- من هذا الرجل " . من سمح له بالدخول "

صرخ (هاتكس) :

- أنا المفتش (هاتكس) ، من المباحث الفيدرالية ، وأنت سمحت لي بالدخول ، وتركت أمرا بهذا عند البوابة ، وربما كان هذا من سوء حظك ، لأنني سأتهمك بتجاوز إجراءات الأمن التقليدية ، والتسبب في تدمير طائرة هليكوبتر ثمينة .

صاح به الضابط في ثورة :

- إذهب إلى الجحيم يا رجل المباحث الفيدرالية . لقد قتل الجنرال (أيدن) ، ولن يخرجنا من هنا على قيد الحياة .

أشار (هاتكس) إلى الهليكوبتر ، التي ارتفعت بها (جي هات) بالفعل . وهو يقول شامتا :

- هل تظن هذا حقا ؟!

اتعتد حجابا الضابط في غضب ، واسرع يضع

صاروخ خر في مدفعه ، ويصوبه لى الهليوكوبتر .
والجيب تطارد (أدهم) . فصاح به (هاتكس)
- هل ستسلف هليوكوبتر أخرى ؟

صاح الضابط :

- هذا أفضل من ان تفر بها تلك الحقيبة
ولكن (أدهم) انحنى بالسيارة (الجيب) نحوه في
حركة حادة ، وانطلق باتجاهه مباشرة ، وتبعته
(جيهان) بالهليوكوبتر ، فهتف (هاتكس) .
- احترمى .. إنه يهاجمك .

خفض الضابط فوهة مدفعه بسرعة ، وصوبها نحو
سيارة (أدهم) . التى تندفع نحوه بسرعة كبيرة ،
و (جيهان) تحلق فوقها بالهليوكوبتر ، هاتفه .
- هيا يا (أدهم) .. هيا .

وأطلق الضابط صاروخه ..
وفى نفس اللحظة ، وثب (أدهم) ..
وثب يتعلق بالهليوكوبتر ، التى ارتفعت بها
(جيهان) فى سرعة . و لصاروخ يضرب (الجيب) ،
وينفجر معها بدوى عنيف ..
ولكن الجيب لم يتوقف ..

لقد استعنت فيها السيران ، وانفجر محركها . ولكنها

وفى نفس اللحظة ، وثب (أدهم) !

وثب يتعلق بهليوكوبتر . لى ارتفعت بها (جيهان) فى سرعة

واصت اندساعها نحو بضبط ، الذي اتسعت عيناه في
ذعر ، وقفز جانباً ، وهو يصرخ :
- اللعنة !

وتجاوزته السيرة المستعنة ، لترطم بجدار مكتبه .
وتتأثر السنة نهب منها في كل اتجاه ، والهنويكوستر
تبتعد وتبتعد ، وضحكة (ادهم) الساخرة تتبعها منها
عالية مجلجلة ، على نحو احق الضابط ، وجعنه يصرخ :
- اللعنة ، اللعنة ، اللعنة ! استدعوا كل
الطيارين انفقوا كل وحدات الدفاع الجوي .
لا تسمحوا لهما بالفرار لا تسمحوا لهما أبدا
ولكن الهنيوكوبتر واصلت تخليقها مبتعدة ، حتى
اختفت في الظلام ، وبدخلها هتفت (جيهان) في
حماس :

- ربنا المعركة كتمعتاد يا سيادة العميد . هؤلاء
الاعداء تصوروا أنهم يستطيعون هزيمتنا ، بمجرد أنهم
أكثر عددا .

انهم ، وهو يقول :

- ولكن الامثال القديمة تقول : « كثرة تهزم
الشجاعة » .

أشارت إل رأسها ، قائلة :

- ليس إذا ما اقترنت الشجاعة بالذكاء .
ثم ادت التحية العسكرية في مرج . مستطردة .
- والان إلى أين يا سيادة العميد ؟
انعقد حاجباه ، وهو يقول في صرامة :
- لا تستخدمى الالتفات الرسمية في تعاملتنا قط .
حتى في لحظات المرح هذا يتنافى وقواعد الامن
أنت التحية العسكرية ثانية ، قائلة :
- كما تأمر يا سيادة العميد .
ثم مالت نحوه ، تسأله :

- والان إلى أين ؟

أجابها في هدوء :

- سنهبط في أقرب مكان ممكن ، قبل أن تبدأ وسائل
الدفاع الجوي في العمل ..
سألته :

- وبعدها .

استرخى في مقعده ، قائلا :

- وبعدها سنذهب لزيارة (مايكل فريمان) . واعتقد
أنه لن يحمل بعدها اسم (فريمان) لفترة طويلة
للغاية (٥) .

(٥) كلمة فريمان (Free Man) بالانجليزية تعني الرجل الحر

قلها . واسبل جفنيه فى هدوء . وترك لزميلته مهمة
قيده الهنيوكوبتر وبمنتهى الثقة .

* * *

انتفص انطيار (مايكل فريمان) فى فراشه . مع
رنين جرس باب منزله . فى الثانية والنصف صباحا .
والتقط مسدسه المجاور للفراش فى حركة عنيفة .
فهتفت زوجته مذعورة :

- ماذا حدث ؟

أشار إليها ، قائلا :

- أصمتى .. عودى إلى النوم فحسب .

كررت فى توتر مذعور :

- ماذا حدث يا (مايكل) ؟

أجابها فى غضب صارم :

- عودى إلى النوم .

انكمشت فى فراشها مذعورة . فى حين هبط هو إلى
الطابق الأرضى ، وسأل فى توتر :

- من بالباب ؟

أجاب (أدهم) فى صرامة :

- المفتش (ادوارد) . من المباحث الفيدرالية . أريد

التحدث مع (مايكل فريمان) .

قال (مايكل) فى حدة :

- ألا يصلح هذا الحديث فى الصباح ؟

أجاب (أدهم) :

- كلاً .. الأمر عاجل للغاية .

سأل (مايكل) متوتراً :

- وما الأمر الذى يستحق حديثاً عاجلاً إلى هذا الحد ؟

أجاب (أدهم) فى حزم :

- الجنرال (أيدن) تم اغتياله الليلة

اتسمت عينا (مايكل) ، وهو يهتف :

- اللعنة .. اغتالوا (أيدن) .

وأصرع يفتح الباب ، قائلاً :

- ومن فعل هذا ؟

أجاب (أدهم) فى صرامة :

- أنت ؟

اتسمت عينا (مايكل) مرة أخرى ، وانتبه إلى حقيقة
الموقف بغتة ، فتراجع فى حركة سريعة ، ورفع مسدسه
نحو (أدهم) . إلا أن هذا الأخير انقض عليه بسرعة
مذهلة . وركل المسدس من يده ، ثم هوى على فكه
واتفه بلكمتين متعاقبتين . وجذبه من مفاصله ، ليضرب
به الجدار فى عنف ، ثم استقبل ارتداداته بلكمة كالقنبلة

في معدته . واخرى في اسنانه . فسقط (مايكل) رصا .
وهو يقول في ذعر :

- لماذا تفعل هذا ؟ .. من أنت ؟

جذبه (أدهم) من شعده في قسوة . وهو يسأله في
صرامة :

- أين ذهبت بالمختطفين ؟

هتف (مايكل) مذعورا :

- أي مختطفين ؟

هوى (أدهم) على انفه بنكمة اخرى . مكررا

- أين ذهبت بهم ؟

بصق (مايكل) بعض الدم من بين شفتيه . وسعل
مرة او مرتين . قبل أن يلوح بيده مستسلما . ويقول :

- سأخبرك سأخبرك ولكن لا تضربني مرة
اخرى .

مطت (جيهان) شفتيها . قائلة :

- لم أتوقع استسلام سريعه الى هذا الحد

اجابها (أدهم) بالفرنسية :

- كل الخونة جناء .

ثم عاد يسأل الطيار بالانجليزية :

- أين أيها الوغد ؟!

كاد (مايكل) يركى . وهو يقول :

- خط سيرى الطبيعى كان ينتهى عند بلدة
(تشارلزفيل) . فى ولاية (فرجينيا) . ولقد أنزلتهم
هناك . بالقرب من منزل كبير . ولست ادرى ما إذا
كانوا قد لجؤوا إليه . ام التفتتهم وسيلة نقل ثانية الى
مكان آخر .

اتعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة . فرفع (مايكل)
نراعيه إلى وجهه . هاتفا :

- هذا كل ما أعرفه . . أقسم لك .

صمت (أدهم) بضع لحظات . وهو يتطلع إلى عينييه
مباشرة . قبل أن يسأله :

- هل تبادل المختطفون أية أحاديث فى الطائرة ؟

قال (مايكل) مضطربا :

- بالطبع . . كانوا يتحدثون طوال الوقت

سأله (أدهم) فى اهتمام :

- هل التقطت شيئا من أحاديثهم ؟

ارتبك (مايكل) . وهو يقول :

- كان اهتمامى كله منصبا على قيادة الهنيوكوبتر .

ولم ألتقط سوى بضع كلمات متفرقة . تحدثوا عن

زعيمة فاتنة . يطلقون عليها اسم (السنيورا) . وعن

لمبانغ الضخمة التي تدفعها في سماء . ثم حذرهم
السفير المصري من مغبة فعلتهم ، فسخروا منه ،
وقالوا إن صوته سيضيع ، وسط الزحام الشديد ، عندما
يصلون إلى وجهتهم .

انعقد حاجبا (أدهم) في شدة . وهو يردد .

- الزحام الشديد ؟! .. فهمت .

ثم هوى على فك (مايكل) بكلمة جديدة ، أسقطته
فقد الوعي . وقال لزميلته في حسم .

- هيا بنا .. من المؤكد أن زوجته قد اتصلت برجال
الشرطة ، وسيصلون بعد قليل ، وليجدوا أمامهم صيدا
ثميناً . بعد أن أرسلنا تقرير خط سيره إلى المباحث
الفيدرالية ، التي ستفهم اللعبة على الفور .

سألته (جيهان) ، وهي تدلف إلى جواره في
السيارة :

- هل توصلت إلى شيء ما خلال استجوابه ؟!

أوما برأسه إيجاباً ، وهو ينطلق بالسيارة ، فسألته
في لهفة :

- هل عرفت أين يحتفظون بالسفير ؟

سألها في هدوء :

- ما أكثر المدن ازدحاما في (أمريكا) كلها ؟

أجابت بسرعة :

- (نيويورك) ، ثم استدركت هاتفية :

- آه . هذا ما قصدوه إذن بضيق صوت السفير .

وسط الزحام الشديد !

أجاب في حسم :

- بالضبط .

تراجعت متهاككة في مقعدها ، قائلة .

- عظيم . دعنا نحصل على قدر من النوم إذن . ثم

تلتقط (قدرى) من المنزل الامن ، وننطلق في الصباح
إلى (نيويورك) .

هز رأسه نفياً ، وهو يقول :

يوسفنى أن شيئاً من هذا لن يحدث يا زميلتى

العزيزة ، فلن نلتقط (قدرى) من المنزل الامن ، ولن

ننطلق إلى (نيويورك) .. بل ولن يمكنك أن تنعمى

بقسط ولو ضئيل من النوم في الوقت الحالى ، فمهمتنا

في (واشنطن) لم تنته بعد .

قالت في دهشة :

- لماذا ؟! .. ألم تتأكد من أن المختطفين يختفون في

(نيويورك) ؟

هز رأسه نفياً ، وهو يقول :

- انه مجرد استنتاج . ثم انه ما زال هناك مسته
فيه . لم نستجوبه بعد .

سألته في حيرة :

- ومن هو ؟

اجاب في حزم . وهو يزيد من سرعة السيارة :

- (جون برك) صاحب ملهى (بلوكاتس) اعتقد
انه يعرف الكثير .. الكثير جدًا .

وانطلقت سيارته بسرعة أكبر ..

* * *

فرك المفتش (هاتكس) عينيه في إرهاق . وغاص
في مقعده قليلا . في محاولة لتخفيف الام ظهره . وهو
يقول لضابط الوثائق :

- اعتصر مخك يا رجل . وابذل قصارى جهدك
لاستعادة ملامح الرجل والفتاة . وسيعاونك خبير
الكمبيوتر على رسم صورة قريبة منهما

تهد الضابط ، وهو يقول :

- الفتاة جميلة . وكل الجميلات يتشابهن . أما
الرجل ، فأنا أحفظ ملامحه جيدا .

تدءب (هاتكس) في إرهاق . وألقى نظرة على
ساعته . التي أفسدت عقاربها إلى الثالثة والرابع
صباحا ، قبل أن يقول :

- عظيم . حاول أن تتعاون أنت مع خبير الكمبيوتر
أنهك الضبط في وصف ملامح (آدم) لخبير
الكمبيوتر . في حين اسبل (هاتكس) جفنيه . ليريحهما
قليلا . وعقله يراجع أحداث تلك الليلة للمرة العاشرة .
وكانت هناك أحداث كثيرة تثير حيرته ..

من ابغ السرطة بمصرع الجنرال . وارسل خط سير
طائرة (فريمان) إلى المباحث الفيدرالية " ! من الرجل
والفتاة . اللذين اقترنت كل أحداث الليلة بوجودهما " !

ثم ما صلة مصرع الجنرال (ايدن) بالهجوم على
(فريمان) ؟ ..

ما العلاقة التي تربط بينهما ؟

راح عقله المنهك يربط الأحداث بعضها ببعض ، حتى
انتزع من أفكاره صوت أحد رجاله . وهو يقول :

- هنا جنرال من المخابرات المركزية ، يطلب مقابلتك
يا سيدى .

فتح (هاتكس) عينيه في صعوبة . وهو يقول :

- دعه يدخل على الفور .

ثم التحقت إلى فنى الكمبيوتر ، قائلا :

- هل رسمت ملامح الرجل ؟

أشار فنى الكمبيوتر إلى رسم واضح لوجه (آدم)

صبرى ا . على شاشة الكمبيوتر . وهو يقول .

- ها هو ذا . ولكنك لم تتعرفه بعد . من خلال برنامج
ال ..

قاطعه صوت صارم ، يقول :

- اسمه (ادهم صبرى) ضابط مخابرات مصرى .
التفت الجميع الى مصدر الصوت ، فظنّهم رجل
مهيّب . اشيب الشعر . يرتدى زى جنرال بالجيش
الامريكى . ويعقد حقيبته الكتين . مستظردا :
- معذرة ايها السادة . نسييت ان اقدم لكم نفسى
اسمى (تورنمبول) الجنرال (جيمى تورنمبول) (*)
وكانت مفاجأة حقيقية .

* * *



(*) راجع قصة (غروب الساعة) المغامرة رقم (١٠٥)

٧- المصخب ..

عقد (ادهم) حقيبته فى شدة . وهو يدلف مع
(جيهان) الى منهى (بلوئاس) . فى تلك الساعة
المتأخرة . فقد بدا له المكان حقيرا . يكتظ بعدد هائل
من البيض والزنج . فى هيئة زرية . وقد اتهمك
بعضهم فى لعب البلياردو (*) . فى الطرف القصوى
للمكان . فى حين راح الآخرون يرقصون . أو يتناولون
أقداح الشراب . على ضجيج موسيقى صاخبة . تكاد
تصم الأذان ..

وكان الدخان يغمر المكان كله . كما لو أن قطارا من
قطارات الفحم القديمة قد توقف فيه طويلا . ومرجله
يعمل بكل قوته ..

(*) البلياردو لعبة تتطلب مهارة وبقة . ويمارس على طاولة ذات
سطح امنى معطى بجوخ احمر . وباستخدام عصا طويلة . وفى النوع
الاحمرى سهل يتور سطوة أربعة جيوب عند الاركن . وأثنى فى
منتصف السور . اما فى النوع الفرنسى . فيمن سطوة جيوب . وهى
تصغر من طاولة البلياردو الانجليزى

وعند وصول (أدهم) و (جيهان) بملاسيهما الأنيقة .
التفتت العيون كلها إليهما ، وانقبت الشفاه في
استنكار ، أو حممت ابتسامات ساخرة مستنكرة . جعلت
(جيهان) تغصم :

— هل تعتقد أن الحضور إلى هنا ، في الثالثة
والنصف صباحا ، يعد قرارا حكيما .
سألها في حزم :

— هل أخافك هؤلاء الأوغاد ؟

ادارت عينيها في وجوههم ، قبل أن تبتسم في شيء
من الجدل ، مجيبة :

— كلاً بالطبع . ربما يثيرون شيئا من سخريتي أو
شعوري بالشفقة أو الازدراء ، ولكن ليس خوفا أبدا .
قالتها ، وتقدمت معه في اعتداد إلى الداخل ، والعيون
كلها تتابعهما في حذر ، حتى توقف (أدهم) ، وقال في
صوت قوى ، محاولا التغلب على صخب الموسيقى :

— أين أجد (جون بارك) ؟

تبدل بعضهم نظرة ساخرة ، قبل أن يتقدم منه ونجى
ضخم الجثة ، ويقول ساخرا :

— هل تبحث عن (بارك) ؟

التفت إليه (أدهم) ، وسأله في برود :

— هل تعرف أين هو ؟

مال الرنجي نحوه . وكشف عن أسنانه الصفراء
القدرة ، وهو يقول :

— ماذا تعطيني ، لو أرشدتك إليه ؟

تطلع (أدهم) إلى عينيهِ لحظة في برود . قل ان يجيب .

— ستترك أسناتك كاملة وسليمة :

لم يفهم الرنجي العبارة في البداية ، ثم أدركها بغتة .
فانعقد حاجباه في شدة ، واعتدل مكشرا عن أسنانه ،
قائلا :

— أنت أيها الأبيض ستترك أسناتي كاملة وسليمة ؟ ..

وهل تملك إصابتها بأدنى سوء ؟

قال (أدهم) بابتسامة ساخرة :

— هل تحب أن تجرّب ؟

صرخ الرنجي الضخم في ثورة :

— هل تجرّب ؟

صمتت الموسيقى بغتة ، مع آخر حروف صرخته ،
وخيل لـ (جيهان) أنها قد أصيبت بصمم مباغت . مع
الصمت الرهيب ، الذي ران على المكان ، ورواده
جميعهم ينقلون أبصارهم بين الرنجي الثائر ، و (أدهم)
الذي يقف أمامه في برود ، قبل أن ينسف الرنجي
مستطردا :

- فيمكن ايها الابيض ان كنتى بتحطيم عظامك
فحسب . وانما سامزق كرامتك ايضا . مسحقت سحقاً
اسم الجميع . ثم استولى على رفيقتك
ابتسم (ادهم) فى سخرية ، وهو يقول :
- يا له من قول سهر ! انك لا تستطيع حتى هزيمة
رفيقتى هذه . التى تحطط للاستيلاء عليها

صرخ الزوجى :

- انا لا استطيع " انا " ساريك ما يمكنى ان
افعله .. سامزقكما معا .
قاتها . وانقض على (ادهم) كثور هائل . إلا أن هذا
الأخير وثب جانباً فى خفة . وهو يقول لـ (جيهان)
بالعربية :
- إنه لك .

هتفت (جيهان) . وهى تقفز عائياً ، وتستقبل الزوجى
بركلة كالقنبلة فى معدته :
- على الرحب والسعة .

شهق لرجس فى ألم . وانثنى كطود ينهار . ولكنها
دارت حول نفسها فى قوة ورشاقة . وحطمت أنفه بركلة
ثانية . ثم قفزت لتضربه فى صدره بقدميها معا . قبل
ان تدور دورة رأسية فى فراغ الملهى . وتحطم أسنانه

بكعب حذاتها . وتهبط على قدميها . قلعة فى سحرية
مكر هذا دون ان خرج يدى من حبيى معطفى
اتسعت العيون كلها فى ذهول وذعر . عند سقوط
الزنجى الضخم فقد الوعى . فى حير التفت (ادهم)
إلى شخص آخر ، وسأله فى صرامة :
- أين (جون بارك) ؟

أشار الرجل بساية مرتجفة إلى أعلى . قسلاً .
- هناك فى حجرة التحكم الموسيقى
رفع (ادهم) عينيه إلى حيث يشير الرجل . ولمح
زنجياً يعدو بكل قوته . محاولاً الفرار من الباب
الخلفى . فهتف . وهو يندفع نحو الحجرة العلوية :
- الممر الخلفى يا (جيهان) .

قاتها . ووثب درحات السلم وثباً . وانطلق يعدو خلف
الزنجى . الذى قفز عبر الباب الخلفى . وجرى فى
الممر . ثم قفز داخل سيارة صغيرة . وأدار محركها .
وانطلق بها بأقصى سرعة . وهو يهتف .

- لماذا يسميان خلفى ؟ ماذا يريدان منى ؟
سررت امامه (جيهان) فجأة . وهى تصوب اليه
مسدسها . فهتف :
- اللعنة !

وانحرف بالسيارة نحوها في حركة حادة ، وهو
يتحنى داخلها ، فالتفت رصاصاتها من المسدس
المزود بكتف للصوت ، واخترفت زجاج السيارة ، التي
اندفعت نحوها مباشرة ، فقفزت جانباً ، هاتفة :
- لقد خدعني الوغد .

ارتطمت السيارة بالجدار ، على قيد نصف المتر
منها ، وانزقت نحوها في عنف ، فوثبت مرة أخرى ،
واختل توازنه ، فتراجعت خطوة ، ثم سقطت على
ظهرها ، في نفس اللحظة التي قفز فيها الزوجي خارج
السيارة ، وصوب إليها مسدسه ، صانحاً في عصبية :
- خسرت أيتها الحفيرة ، وستموتين مثل الـ ...
قطعه صوت صارم ، في نفس اللحظة التي قبضت
على عنقه أصابع من فولاذ :
- إنني فقد جرؤت على أن تستبها .

وقبل أن يدرك الزوجي ما حدث ، طار مسدسه من
يده بضربة قوية ، ثم ارتفع جسده إلى أعلى ، وهوى
في عنف إلى أسفل ، فارتطم بالأرض ، وغامت الدنيا
أمام عينيه ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يهتف :
- حذار أن تؤذي نفسي - إتني (جون بارك) ، زعيم
عصابات الـ ...

أخبرته لكمة مباشرة في أسنانه ، شعر بعدها بمذاق
الدم في حنقه ، وبصق اثنتين من أسنانه الأمامية .
والصوت الصارم يتابع :
- ألم تعتذر بعد ؟

دارت عينا (بارك) في محجريهما ، وهو يهتف
مستكراً :
- أعتر ؟
أصابت اللكمة التالية أنفه ، وزادته تفلطحاً ، فهتف
مذعوراً :
- أنا أعترف .. أعترف ألف مرة .

نهضت (جيهان) مبتسمة في سخرية ، وهي تقول :
- اعتقد أن هذا يكفي .
جذبه إليه (أدهم) في عنف ، وتطلع إلى عينيه
مباشرة بنظرة صارمة ، وهو يسأله :
- لماذا أرسلت قاتلاً محترفاً ؛ للتخلص من الجنرال
(أيدن) ؟ .. من أمرك بهذا ؟

اتسعت عينا الزوجي في رعب هائل ، وهو يقول :
- لا يمكنني أن أخبرك - لا يمكنني هذا أبداً
هزه (أدهم) في قوة ، قبل أن يسأله :
- إتبا السنيورا .. أليس كذلك ؟

اتسعت عين الزنجى أكثر وأكثر . وهو يهتف
- هل تعرفها ؟

انعقد حجبا (أدهم) فى صرامة مخيفة . وهو يقول
- ولماذا تريد السنيور لتخلص من الجنرال
(أين) ؟ .. لماذا ؟ !

أجاب الزنجى مذعورا :

- إنها لم تطلب التخلص منه . ولكن وأمره كانت
محدودة فلو اشترت أجهزة التصنت . المزروعة فى
منزله . إلى أن أمره قد انكشف . يتم اغتياله على الفور

سأله (أدهم) فى صرامة أكبر :

- هل رأيت هذه السنيورا من قبل ؟

أجاب فى اضطراب شديد :

- مرة واحدة رأيتها مرة واحدة . فى بداية العمل
هم (أدهم) بخراج الصورة من جيبه . وعرضها
عليه . عندما أمسكت (جيهان) ذراعه فجأة . فثابته

- انظر ! يبدو ان لينتالز تنتهى بحق

تطلع الى حيت انتارت . ووقع بصره على سثة من
العمائقة الزوج . الذين يسدون الممر من لطرفين .
وكل منهم يحمل فى يده سنسلة معدنية ثقيلة . يلوح بها
فى حركة دائرية منتظمة ..



هذه (أدهم) فى قوة . قبل أن يسأله

- به السنيورا . أليس كذلك ؟ !

ولم يكذ (بارت) يلوح هؤلاء العمالقة الستة . حتى هتفا :

- النجدة يا رجال .. النجدة .

ومع خر هتافه . انطلقت من حلق العمالقة الستة صرخة غاضبة رهيبة ..

ثم اندفعوا من الجانبين . بسلاسلهم الثقيلة . نحو (أدهم) و (جيهان) .. وبلا رحمة ..

* * *

نهض المفتش (هاتكس) بصافح الجنرال (تورنيسول) في حرارة واحترام . وهو يقول :

- جنرال (جيمى تورنيسول) ! آه .. دعنى أسترجع معلوماتى يا سيادة الجنرال . أعتقد أنك المسنول الأول عن فرق القوات الخاصة . أليس كذلك ؟

أوما الجنرال (تورنيسول) برأسه فى هدوء قانلا .

- بلى . وأضيف إلى هذا أننى قادم على التو من (جنيف) فى (سويسرا) . بعد معركة عنيفة مع هذا الرجل . نجح خلالها فى تدمير فريق كامل من أفضل رجالنا .

ارتفع حاجب (هاتكس) فى دهشة . وهو يهتف :

- فريق كامل .

ثم انعقد حاجباه . مع استطراداته المتوترة .

- قولا هذا خطير للغاية يا جنرال . فهو يعنى أن هذا الرجل محترف من الطراز الأول .

هز الجنرال (تورنيسول) رأسه نفيا فى صرمة . وهو يقول :

- خطأ ايها المفتش . هذا يعنى أن المباحث الفيدرالية لا تصلح لتولى مثل هذا الامر

حدجه (هاتكس) بنظرة منوترة . وازداد انعقاد حاجبيه فى شدة . قبل أن يقول :

- أهذا رأيك الشخصى ؟

أجابه (تورنيسول) فى حدة :

- بالطبع . لقد تعاملت مع الرجل بنفسى . وواجهته مباشرة . وأعرف كيف يتحرك ويعمل . بل وكيف يقاتل . ويمكننى أن أؤكد بمنتهى الثقة أنه لا قبل لكم بمواجهته .

قال (هاتكس) بأسلوب استفزازى متعمد .

- عجباً !.. يخيل إلى أنك اشرت إلى هزيمتك على يديه . أليس كذلك ؟

قال (تورنيسول) فى غضب :

- فى عالم لا توجد عزيمة مطقة يا رجل . لقد انتصر ذك المصرى . لابد كنا نجهل قدراته الحقيقية . ونكت بهذا كتسبنا خبرة جيدة فى التعامل معه . وفى المرة القادمة ..

قاطعها (هاتكس) فى حزم :

- لن تكون هناك مرة قادمة يا جنرال . لاننا سنقضى عليه فى هذه المواجهة .

قال (تورنسول) فى حدة :

- ومن سيسمح لكم بهذا ؟

اشار (هاتكس) بيده فى صرامة . قائل .

- القانون يا جنرال (تورنسول) . القاتلون الذى يمنع المخابرات المركزية الأمريكية من التدخل فى أية شئون داخلية (*) . هل تذكر هذا القانون يا جنرال . أم أن فشلك لآخر محال الكثير من ذكرك ؟

حنقن وجه (تورنسول) فى شدة . وهو يقول .

- كيف تجرؤ ..

قطعه (هاتكس) مرة اخرى فى صرامة

- معذرة يا جنرال . ولكن وقتى ضيق من ان اضيعه

(*) حقيقه

فى مناقشات غير مجدية .

ازداد احتقان وجه (تورنسول) . وهو يرمقه بنظرة غصبة . قبل أن يميل نحوه . قائل فى غضب :

- اسمع يا هذا . انما اعرف ما يدور فى ذهنك بالضبط . أنت تتصور أن وجود المخابرات فى العملية سيحرمك قطف ثمرتها . وسيجعل المباحث الفيدرالية تبدو وكأنها عاجزة عن الاضطلاع بالشئون الداخلية . ولكن هذا خطأ .. اننا لا نسعى لميلكم اية انتصارات . ولا إلى قطف ثمرة لا تستحقها .. كل ما نسعى إليه هو انظر بذلك الرجل دعنا نتعاون لنظر به معا ، فلن يمكنكم الظفر به وحدكم قط .

عقد (هاتكس) ساعديه خلف ظهره . وهو يجيب فى حزم شديد :

- إلى اللقاء يا جنرال .

تراجع (تورنسول) بحركة حادة . واشتعل الغضب فى ملامحه . وهو يقول :

- أهذا قرارك النهائى ؟

لم يجب (هاتكس) . وهو يتطلع الى عينيه بنظرة صارمة . فهتف (تورنسول) :

- ستندم على موقفك هذا . أقسم لك إنك ستندم

واستدار ليفادر المكان في عصبية مخنقة ، ثم لم يلبث ان توقف ، واستدار إلى (هاتكس) . قائلا في غضب :

- عندما تذوق مرارة الهزيمة على يد (أدهم صبرى) . ويتحطم غرورك الزائف على صخرة قوته وإصراره . ويشارف عنادك الانهيار ، أنت تعرف أين تجدنى .

ابتسم (هاتكس) في سخرية ، قائلا :

- اطمئن يا جنرال .. لن أحتاج إلى هذا قط .

قال (تورنسول) في عنف :

- صفى .

وصفق الباب خلفه في قوة ..

ولشوان ، ران على المكان صمت رهيب . قطعه

ضابط الوثائق ، وهو يغتم :

- أظنه على حق .

استدار إليه (هاتكس) بنظرة غاضبة ، فتابع في سرعة :

- لقد رأينا كيف يعمل الرجل .

اتعقد حاجبا (هاتكس) في سدة ، وعقله يدرس هذه العبارة جيدا ..

لقد رأى بالفعل كيف يعمل (أدهم صبرى) .. ومازال الانبهار يملأ نفسه ، حتى هذه اللحظة . مع كثير من القلق والخوف ..

ولكنه لن يسمح للمخبرات المركزية قط بقطف ثمار عمله ..

إنها عملته ..

وسيمضى فيها حتى النهاية ..

وفي حزم ، استدار إلى خبير الكمبيوتر ، قائلا :

- ابحث عن ملف باسم (أدهم صبرى) هذا .

ضرب الخبير أزرار الكمبيوتر في سرعة ، وظهر على الشاشة اسم (أدهم) ، ثم تراصت تحته قائمة طويلة من المعلومات ، مع صورتين واضحتين له ، إحداهما لوجهه كاملا ، والأخرى لجانب الوجه الأيسر .. وفي قمة الشاشة ، ظهرت عبارة واضحة ، تقول :

- خاص للغاية .. محترف من الدرجة الأولى .

الفئة (أ) .

كانت هذه المصطلحات تعنى أن صاحب الصورتين شخص بالغ الخطورة ، وينبغى التعامل معه بكل الحذر والاهتمام ..

لذا ، فقد جلس (هاتكس) أمام الكمبيوتر ، وراح يقرأ هذا الفيض من المعلومات ..

ومع كل سطر يمضى . كان انهاره يتضاعف . ودرجة
القلق والخوف عنده ترتفع ..
وترتفع .. وترتفع ..

* * *

غادر الجنرال (تورنسول) مركز المباحث الفيدرالية .
والغضب يشتعل فى جسده كله ، ويطرأ واضحا من
عينيه ، ومع أنفاسه الملتهبة ، التى حملت كل انفعالاته
فى آن واحد ..

وفى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، راح ينطلق
بسيارته ، عبر شوارع (واشنطن) الواسعة ، وهو
يقول لنفسه :

- يا للغبى !.. لا يمكن إبراك مدى ضعفه وسخافته
أمام خصمه سيفسد كل شيء بتدخله فى أمر يفوق
قدراته .

ومطأ شفتيه فى حلق ، هاتفا :

- ويتحدث عن القانون ! . اللعنة عليه وعلى
ذلك القاتون الحقير السخيف . لست أدري من وضعه
أو اشار بذلك !! . كيف يمنعوننا من التدخل فى الأمور
الداخلية " من غيرنا يمكنه حسم المشكلات فى
سرعة ودقة ؟!.. من ؟!

ولوح بيده . وهو يزيد من سرعة السير . مستظردا
- ونكتفى لن اسمح له بافساد الأمر . لن سمح له
ابدا .

واصل انطلاقه بالسيارة ، حتى تجاوز حدود المدينة .
واتجه مباشرة نحو معسكر كبير ، على مسافة عشرة
كيلومترات فحسب من العاصمة ، وتوقف أمام بوابته ،
وقال لحارسها بلهجة أمرة :

- افتح البوابة يا (ماك) .

ألقى الجندى نظرة عليه ، قبل أن يهتف :

- جنرال (تورنسول) حمدا لله على سلامتك
يا سيدى .. أهو تفتيش مفاجئ . أم

أجابه (تورنسول) ، وهو يقطع محقق :

- لا تسأل يا (ماك) . هل نسيت ما علمتك إياه ؟

ارتبك الجندى ، وأسرع يفتح البوابة أمام سيارة
(تورنسول) ، قائلا :

- بل أذكره كله يا جنرال .. معذرة .

اتعقد حاجبا (تورنسول) فى غضب أكثر ، وهو يهتف :

- بل لا تذكر حرفا واحدا منه يا (ماك) . وإلا ما
فتحت البوابة أمامى بهذه البساطة . دون أن تتأكد من
شخصيتى .

ارتفع حاجبا الجندي في دهشة . وهو يقول :
- اتأكد من شخصيتك " ولكنك قاتلنا يا جنرال .
وكلنا فـ ...

قاطعته في غضب صارم :
- المعرفة الشخصية لا تكفي ايها الغبي . لابد ان
تراجع أوراقى فى كل مرة . هل تفهم ؟
أوما الجندي برأسه . وقد تصاعد توتره إلى ذروته .
ومذ يده إلى الجنرال ، قائلا :
- أوراقك يا جنرال .
أبرز الجنرال (تورنسول) أوراقه ، وناولها إياها .
وهو يقول فى صرامة :

- هذا ما ينبغى أن تفعله فى كل مرة ، حتى لا يخدعك
شخص متكرر فى هينتى ذات مرة ، وينجح فى الدخول
إلى المعسكر .

ابتسم الجندي ، قائلا :
- لا احد يمكنه انتحال شخصية آخر بهذه الدقة
يا جنرال .

هتف (تورنسول) فى حدة :
- هذا ما نطلبه . نفذ الأوامر فحسب ، ولا تقحم
آراءك الشخصية فى الامر . هل تفهم ؟

ازدرد الجندي لعابه متوترا ، وهو يعيد إليه
الأوراق ، قائلا :
- أفهم يا جنرال . أفهم . تفضل .. أوراقك كلها
مليئة .

انطلق (تورنسول) بسيارته إلى داخل المعسكر .
فالتقط الجندي سماعة الهاتف الداخلى ، وطلب رقما
خاصا ، قبل أن يقول :

- إنه أنا يا سيدى الملازم .. نعم .. أعلم أن الوقت
متأخر للغاية ، ولكن الجنرال (تورنسول) هنا .. نعم ..
هنا يا سيادة الملازم ، وهو متوتر للغاية أيضا ، ولست
أدرى ماذا يريد بالضبط ؟

أغلق الملازم الخط ، واتدفع ليستقبل الجنرال
(تورنسول) ، وهو يؤدى التحية العسكرية فى احترام ،
قائلا :

- مرحبا يا سيدى الجنرال .. أى رياح طيبة .
قاطعته (تورنسول) فى صرامة ، وهو يفادر
سيارته :

- بل هى رياح خبيثة يا رجل .. قل لى : ألدرك فريق
مستعد للقتال فوراً ،
أجابه الملازم فى سرعة :

٨ - الفريسة ..

عندما انقض العمالة الستة على (أدهم) و (جيهان) ، من جاتبي الممر الضيق ، كانوا يتصورون أن الفوز بالفريسة سهل ميسور ؛ فهم ستة في مواجهة اثنين . وهم عمالة أشداء ، في مواجهة رجل وامرأة ، يرتديان ثيابا فاخرة ، تؤكد أنهما ينتميان إلى طبقة مرفهة ، لم تعرف قتال الشوارع قط ، في أية مرحلة من مراحل حياتها ..

ولهذا كان للمفاجأة عليهم أثر مذهل ..

لقد هتف (أدهم) ، وهو يواجه خصومه الثلاثة :

- هل تحتاجين إلى مساعدة ؟

أجابته (جيهان) ساخرة :

- من أجل ثلاثة فحسب ؟! لا ريب في أنك تمزح .

في نفس اللحظة ، التي نطقت فيها عبارتها ، كان أحد الزنوج يهوى عليها بالسلسلة المعدنية الثقيلة في يده . فمالت جانباً في خفة ، وتفادت الضربة القاتلة ، متابعه :

- صحيح أنهم يحملون أسلحة بدائية

- بالطبع يا جنرال .. لدى فريق (مانسون) الصغير ، الذي يضمه مع (جاك) و (ألبرت) .. أنت تعلم أنهم أقوى رجالنا ، وهم مستعدون دوما للقتال في أية لحظة .

قال (تورنسول) في حزم :

- عظيم . استدع ثلاثهم على الفور .

هتف الملازم في دهشة :

- الآن ؟!

أجابته في غضب :

- نعم .. الآن . أخبرهم أن الجنرال (تورنسول)

يريدهم لمهمة خاصة وعاجلة ، وبألغة الأهمية .

سأله الملازم في دهشة :

- هل سيواجهون جيشاً من الإرهابيين ؟

أجابته (تورنسول) في حزم :

- بل سيواجهون رجلاً واحداً ، يساوي جيشاً بأكمله ..

رجل يدعى (أدهم صبرى) ..

وكانت دهشة الملازم هائلة ..

هائلة بحق

* * *

ووثبت تركل الرجل في أنفه ، مستطردة :

- ولكنهم لا يجيدون استخدامها .

تراجع الرجل مع الضربة . وارتطم بزميله . في نفس اللحظة التي تراجع فيها (أدهم) في رشاقة ، أمام ضربة عملاق آخر ، ثم أمسك طرف السلسلة الثقيلة ، قائلا في سخرية :

- صدقت يا عزيزتي .

ثم جذب الرجل إليه ، في حركة عنيفة مباغتة . واستقبله بلكمة كالقنبلة في أسنانه مبشرة ، مستطردا :

- إنهم لا يجيدون استخدامها .

وانحنى ، متفاديا ضربة سلسلة أخرى . ثم وثب بغوص بقدمه اليسرى في معدة صاحبها ، الذي اتشى في ألم ، فأجبرته ركلة من القدم اليمنى على الاعتدال ، والتراجع في عنف ، ليستقبل ضربة سلسلة زميله ، الذي فوجئ بنفسه بضرب صديقه ، فصاح .

- اللعنة !.. أنا لم أقصد ..

كان ينوى مخلصا إتمام عبارته ، إلا أن قبضة (أدهم) أخرجته بفتة ، وهي تحطم اثنتين من أسنانه الأمامية ، ثم انطلقت القبضة الأخرى لتحول أنفه المفلطح إلى كومة من اللحم المفري . وتسقطه فقد

الوعي ، إلى جوار زميله ..

أما (جيهان) ، فقد وثبت في رشاقة ، لتتفادى هجوم الرجال الثلاثة ، وصاحب الأنف المحطم منهم يصرخ غاضبا :

- اقلوا هذه اللعينة .. اسحقوها .

مالت يمينا ، متفادية ضربة سلسلة قوية ، ثم يسارا ، للفرار من الأخرى ، وبعدها انقضت على الرجلين ، هاتفة .

- عار عليكم أيها الرجال .

وحطمت أنف الأول بلكمة كالقنبلة ، ثم ركلت الثاني بين قدميه ، وقفزت تتفادى ضربة بالغة القوة من سلسلة الثالث ، مستطردة :

- كيف تهاجمون امرأة ضعيفة ؟

وهبطت على قدميها لتلكم الثالث لكمتين سريعتين ، في أنفه وفمه ، فدار حول نفسه ، وعيناه تختفيان في أعماق جمجمته ، قبل أن يهوى تحت قدميها فاقد الوعي ، وهي تضيف :

- مثلى .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- كنت أعلم أنك ستفطينها .

ثم انتبه فجأة إلى غياب (يارك) ، فهتف :

- لقد هرب الوغد .

استدارا معا الى منتصف الممر . ورأياه يعدو عابدا
إلى الملهى . فاندفع (أدهم) خلفه . وهو يقول
بـ (جيهان) :

- انتظري امام السيارة . عند الباب الامامى

ترددت لحظة . قومت خلالها رغبته فى مواصلة
القتال إلى جواره . ثم لم تلبث ان أجابت . وهى تسرع
لتنفيذ الأمر :

- سمعا وطاعة .

انطلق هو خلف (جون بارك) . وعاد إلى الملهى .
ورأى الزنجى يقفز داخل المكان . وهو يهتف فى رعب :
- النجدة ! إنه يطاردنى .. أنقذونى .. أنقذونى .

تخلّى ثلاثة من العمالقة عن لعب البلياردو . وسدوا
الطريق أمام (أدهم) بأجسادهم الضخمة . وقال له
أحدهم فى صرامة :

- إلى أين يا صاح ؟

هوى (أدهم) على فكه بكلمة كالقنبلة . وهو يقول .

- خلف (بارك) أيها الوغد .

ثم التقط عصا البلياردو من يده . قبل أن يسقط فقد
الوعى . وهوى بها على رأس الشاتى . لتتحطم فى
عنف . وهو يستطرد :

- وأكره إضاعة الوقت فى هذا .. لذا ..

وقفز يدور حول نفسه فى رشاقة . ليتركز الثالث فى
فكه . ويزيحه جانباً . وهو يضيف :
- أفسحوا الطريق ..

اتسعت عيون رواد الملهى فى ذعر وذهول . عندما
سقط الرجال الثلاثة فى لحظات . وواصل (أدهم)
انطلاقه نحو (بارك) . الذى قفز ليفادر الملهى . إلا أن
(أدهم) قطع أربعة أمتار كاملة بففزة واحدة . ليقبض
على عنقه فى قوة . قائلا :

- مهلاً أيها الوغد . الفرار ليس بهذه السهولة .

صرخ (بارك) فى رعب :

- اتركنى .. لست أعرف شيئاً . اتركنى .

دفعه (أدهم) أمامه فى قسوة إلى خارج الملهى .
وهو يقول فى صرامة :

- سأتركك أيها الوغد . ولكن بعد أن تجيب سؤالى

وأنقاه فى عنف فوق مقدمة سيارته . فهتفت
(جيهان) معترضة :

ستتلف مقدمة السيارة .

ونكن (أدهم) تجاهلها تماماً . وهو يخرج من جيبه
صورة (سونيا جراهام) . ويضعها أمام عينى (بارك) .

وهو يسأله بلهجة مخيفة ، تكفى لتجميد الدم فى عروق
أشجع الرجال :

- أهذه هى الشئورا ؟

تطلع (بارك) إلى الصورة فى دعر ، قبل أن يجيب :
إتيا حتى لا تشبهها .

هتف (أدهم) :

- ماذا تقول ؟

رفع الزنجى يده ليحمى وجهه ، صالحا فى دعر
وانهيار :

- أقسم لك إتيا ليست هى .. أقسم لك .. أقسم لك ..

والواقع أن الجواب كان مفاجأة لـ (أدهم) ..

مفاجأة قاسية ..

للغاية ..

* * *

شد المحترفون الثلاثة ، (ماتسون) و (جاك)

و (ألبرت) ، قامتهم أمام قائدهم الجنرال (تورنسول) ،

الذى رماهم بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :

- المفترض أن ثلاثتكم من أفضل رجالنا ، فى فرق

القوات الخاصة ، التابعة للمخابرات المركزية الأمريكية ..

بل أفضلهم على الإطلاق ، ما آخر عملية قعتم بها ؟!

أجابته (ماتسون) فى صوت قوى :

- عملية (بيروت) يا سيادة الجنرال .

سأله (تورنسول) فى صرامة :

- وما نسبة النجاح فيها .

ابتسم (ماتسون) فى زهو ، قائلاً :

- مائة فى المائة يا جنرال ..

أوما (تورنسول) برأسه فى اهتمام ، ثم عاد يشد

قامته ، فى وقفته العسكرية الصارمة ، وهو يقول :

- عظيم .. هذه هى النسبة التى أطلبها ، فى العملية

الجديدة ، التى سأسندها إليكم الان

وتنهذ فى قوة ، قبل أن يستطرد :

- هناك رجل مصرى ، أريد مكم أن تقضوا عليه تماما .

بدت الدهشة على وجوههم ، وهم يتبادلون نظرة

صامتة ، قبل أن يعبر (ماتسون) عن شعورهم ، قائلاً :

- رجل واحد يا جنرال ؟!

انعقد حاجباه ، وهو يجيب :

- نعم . رجل واحد . رجل حطم بمفرده فريق

(بيرت) كله .

اتسعت عيونهم فى دهشة مذعورة ، ثم لم تلبث أن

ضائق فى غضب ، و (ألبرت) يسأل :

— من هذا الرجل يا جنرال ؟

اجابه (تورنسول) فى حزم . وهو يعتقد كفيه خفف
ظهره ، ويسير امامهم جيئة وذهابا .

— ستعرفون كل شىء عنه . لقد طلبتكم فى هذه
الساعة لانقذكم كل ما اعرفه بشأنه . حتى تكون
مواجعتكم معه مدروسة ومحسوبة . تحشيا للوقوع فى
أية أخطاء . قد يؤدى إليها عدم تقديركم لقدراته .
سأشرح لكم كل ما يخصه . طبيعته .. أسلوبه .
قدراته . وسائله . وعلى الأخص . مهاراته الفذة
المتعددة . التى تجعل منه خصما لا يستهان به ..
وانتهوا إلى العبرة الأخيرة جيدا . لا تستهينوا
بخصمكم أبدا . مهما بدا لكم هادئا مستكينا . فهو ثعلب
ماكر . وأسد جسور . وفهد متوشب . لا يؤمن جاتبه
قط . ولو أنكم تمتلكون مزية ونقطة تفوق عليه . فهى
أنكم تعملون على أرضكم . وتحت غطاء من الشرعية .
يتيح لكم حرية حركة يفقد هو إليها ثم إنكم أنتم
الذين تبحثون عنه . وليس هو الذى يبحث عنكم . أى
أن زمام المبادرة فى أيديكم . وعامل المفاجأة ملك
يعينكم . فلا تتنازلوا عن مزييتكم قط . هل تفهمون ؟

اومسوا برءوسهم اجبا . وهم يستمعون إليه فى
اهتمام وانتباه شديدين . فتابع بلهجته الصرمة الحازمة .

— سامنحكم كل الصلاحيات اللازمة . مع احدث ما
ابتكرته تكنولوجيايتنا من اسلحة ومعدات . وكل ما أطلبه
منكم هو أن تعملوا بأقصى طاقتكم للنظر بالفريسة
وانتقد حجابها فى شدة . وهو يضيف :
— فلقد أقسمت ألا يهدأ لى بال . حتى أسحق ذلك
الرجل .

والتقط نفسا عميقا . ليملا به صدره القوى . قبل أن
يدير عينيه فى وجوههم ، قائلا :
— بقى أن تعرفوا اسم خصمكم . الذى ستقاتلون
لنظفر به .. واسمه هو (أدهم) . (أدهم صبرى)
قالها بنبرة تحمل كل الحزم ..
وكل المقت ..

* * *

تساءبت (جيهان) فى إرهاق شديد . وألقت نظرة على
(قدرى) . الذى استغرق فى نوم عميق . فى الأريكة
الحنفية لسيارة (أدهم) . التى نطلق بها هذا الأخير .
عندما إلى (نيويورك) . ثم تطلعت إلى ساعتها بعينين
نصف مفتحتين . وهى تغفم :

— لم يعد بإمكانى المقاومة . سأستغرق فى النوم قليلا
أجابها (أدهم) فى هدوء :

- هذا أفضل . حتى تستعيدى نشاطك جيدا ، عندما
نصل إلى (نيويورك) . فاطننا سنحتاج إلى كل ذرة منه
هناك .

أسبلت جفنيها في تهالك ، وهي تسأله :
- وماذا عنك ؟ ألا تشعر برغبة في النوم ؟
ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :
- (تقى أقاوم هذا .

هزت رأسها ، قائلة :
- صدقتى . لم أر فى حياتى كلها إرادة تفوق
إرادتك ، ولا إصرارا يمكنه أن يتفوق على إصرارك .
غمغم :
- أشكره .

تثاءبت مرة أخرى ، وتركت رأسها يسترخى على
مسند المقعد ، وهي تسأله بصوت نصف نائم :
- أما زلت تشعر بالحزن ؛ لأن السنيورا ليست
(سونيا جراهام) ؟

هز رأسه نفيًا ، وهو يجيب :
- ليس حزنًا كما تتصورين ، وإنما هو شعور بخيبة
الأمل .

سأله في تهالك :

- هل كنت تتمنى لو أنها (سونيا) ؟ هل تعتقد أن
القتال معها سيكون أفضل من القتال مع غيرها ؟
ابتسم في أسى ، قائلاً :
- بل القتال مع (سونيا جراهام) هو أشد من قتال
يمكننا مواجهته ، ولكن فكرة بقائها على قيد الحياة ،
كانت تبعث فى نفسى أملاً ، ينشده قلبى منذ فترة
طويلة .

غمغمت :

- عجباً !... كنت أظنك تكرهها

تتهدد ، قبل أن يجيب :

- هذا صحيح ، ولكن وجودها على قيد الحياة كان
يعنى أنها نجت من انفجار جزيرتها ، ويعنى بالتالى أن
ابنى منها ما زال على قيد الحياة .

قالها ، وعقله يستعيد تلك اللحظات الرهيبة ، التى لم
تفارق ذاكرته قط ..

صرخات (سونيا) ..

والانفجار ..

ومصرعها مع ابنه ، فى تلك الجزيرة ، التى اتخذتها
مقرًا لمنظمتها (سناك) (*) .

(*) راجع قصة (المصرية العاصفة) المعمر رقم (١٠٠)

وفي حقه ، تكونت غصة كبيرة . اختلق بها في
مرارة ..

كم تمنى لو ان السنيورا هي (سونيا جراهام)
بالفعل

كم تمنى لو أنها لم تمت ..
وما زالت الحيرة تملأ نفسه ، عندما كشف أنها
ليست هي ..

ما زال يشعر بأن (سونيا) وراء كل هذا ..
إنه يعرف أسلوبها ..
وطبيعتها ..

ومنذ بدأ صراعه مع المنظمة الجديدة ، وهو يشعر
بوجودها ..

وكل خطوة بخطوها تشير إليها ..
هي وحدها كان يمكن أن تنزعج إلى هذا الحد ،
عندما كشفت أمره . من خلال بصمته ، في
(جنيف) (٥) ..

هي وحدها يمكن أن تعود لاستخدام رمز الأفعى
لمنظمتها الجديدة ..

(٥) راجع قصة (عقارب الساعة) .. معاصرة رقم (١٠٥)

هناك رابطة عجيبة ، لا يمكنها مقاومتها ، بينها
وبين الأفعى ..

رابطة طبيعية ..
فكل منهما أفعى ، تبث سمومها فيما حولها
كل منهما ناعمة ، جميلة المظهر ، ولكن الاقتراب
منها يحمل الخطر .
كل الخطر ..

ثم إن السؤال الحقيقي هو : لو أن السنيورا ليست
(سونيا جراهام) ، فمن تكون ؟ ..
من ؟ ..

كان مستغرقا في أفكاره ، عندما تمت (جيهان)
نكاحه :

- يا إلهي ! لم أتصور أنني سأراها قط

التفت إليها ، يسألها في حيرة :

- من تعنين ؟

ابتسمت في شحوب ، قائلة :

- بل قل ما هي ؟

ثم أشارت إلى الأفق ، محيية :

- الشمس . لم أتصور أن هذه اللينة ستنتهي أبدا

قالتها ، واسترخت في مقعدها أكثر وأكثر



وراحت في سبات عميق ..

أما هو ، فواصل قيادة السيارة ، وهو يكرر السؤال في أعماقه ..

وراحت في سبات عميق ..

أما هو ، فواصل قيادة السيارة ، وهو يكرر السؤال في أعماقه ..

من تكون السنيورا ؟ ..

من ؟ ..

* * *

انطلقت ضحكة عاتية عابثة ، من بين شفتي السنيورا الجميلتين ، وهي تزاوّل رياضتها الصباحية ، في ساعة مبكرة ، وتستمع إلى مساعدتها ، التي بدت عليها الدهشة ، وهي تقول :

— عجباً !! . كنت أتصور أن الأخبار ستزعجك يا سنيورا .

ضحكت السنيورا مرة أخرى ، قبل أن تقول :

— على العكس تماماً يا صغيرتي .. هذه الأخبار تتفق تماماً مع ما كنت أتوقعه .

تضاعفت دهشة المساعدة ، وهي تقول :

— عجباً ! . هل كنت تتوقعين أن (أدهم صسبري) سيبدل كل هذا النشاط في ليلة واحدة ؟ لقد توصل إلى الجنرال (أيدن) ، و (بارك) ، وعرف أن المختطفين يختبئون في (نيويورك) هل توقعت أن يفعل شخص ما كل هذا ، في ساعات محدودة .

ارتسمت ابتسامة جذبة على شفתי السنيورا . وهي تقول :

- هذا هو (أدهم صبرى) الذى أعرفه .

تراجعت المساعدة فى دهشة أكبر . وهي تحقق فيها ، قبل أن تقول :

- ولكن ، ألا يفسد هذا خططنا كلها ؟

هزت انسنيوراً رأسها نفياً . وهي تجيب :

- على العكس إنه يتفق معها تماماً

سألتها فى اهتمام جائر :

- ولكن كيف يا سنيورا ؟! ما دام (أدهم صبرى)

قد توصل إلى المكان ، الذى يختبئ فيه المختطفون ،

فلا ريب أنه سيتوصل إليهم . إن عاجلاً أو آجلاً ،

وسيفلص السفير من بين أيديهم .

أومات السنيورا ، برأسها إيجاباً ، وهي تقول بابتسامة كبيرة :

- بالتأكيد .

تنهت المساعدة فى حيرة ، قائلة :

- ألن يعنى هذا أننا فشلنا ؟

اطنقت السنيورا ، ضحكة عتية . قبل أن تقول :

- ليس يعنى فقط أنك لست بالذكاء الكافى لفهم ما

يحدث حولك

عقدت المساعدة حاجبها فى ضيق ، والسنيورا تتابع فى ثقة ودهاء :

- يبدو أنك نسيت أن عملية السفير ليست عملية

الأساسية ، وإنما هى مجرد طعم . لإبقاء (أدهم

صبرى) ، فى نيويورك حتى يستعد (توماس) وفريق

القتلة ، لأداء مهمتهم الرئيسية . والقضاء عليه

وضحكت مرة أخرى ، مستطردة :

- والآن توصل (أدهم) إلى كل ما أردت له أن

يتوصل إليه ، وأصبح عليه أن يعود إلى (نيويورك) ،

للبحث عن المختطفين .

وضاقت عيناها ، وهي تستطرد :

- ولكننى أعتقد أن مهمته هناك لن تكون سهلة أو

هينة .. لن تكون كذلك أبداً .

قالتها ، وعادت تطلق ضحكة أخرى طويلة مبحوحة .

ضحكة جعلتها تبدو بالفعل أشبه برمز منظمتها .

بالأنقى ..

* * *

« مستحيل ! .. »

نطق (بل هايدن) . أحد القتلة المحترفين الكلمة .

وهو يلقي منق (أدهم صبرى) أمامه . على مائدة

الاجتماعات . في مقر اتحاد القنلة . قبل ان يستطرد في
شيء من الانفعال :

- هذا الملف كله يبدو لي اشبه برواية خيائية ، حول
بطل اسطوري . وهي ليست حتى بجودة أعمال
(هوميروس) (*) على الاقل هو لم يدع أن أعماله
حقيقة ، وإنما وضعها كنموذج للخيال والانطلاق في
عصره .

أجابه (توماس) في هزم :

- يسعدني أن تدافك سمحت لك بمعرفة (هوميروس)
وأعماله يا (بل) ، ولكن ما ينبغي أن تدركه هو أن كل
ما جاء بهذا الملف حقيقي تمامًا .

احتقن وجه (بل) ، وهو يقول :

- حقيقي تمامًا ؟! أي قول هذا يا (توم) ؟ . هل
تصدق أنه يوجد رجل في هذا العالم يجيد استخدام كل
أنواع الأسلحة . وكل وسائل القتال ، وعدد لا حصر له

(*) هوميروس اعظم الشعراء الإغريق ، كان وجوده محض حس في
القرن التاسع عشر ، وكثر الدراسات الحديثة ترحح انه عاش في عدم
٧٠ و ٨٠ . ويقتل انه كان عيسى . ومن أشهر أعماله (الإلياذة)
و (الأوديسا) . وهما من رواقع الأنثى العالمي

من اللغات الحية ، ويمتلك قدرة مذهلة على انتحال أية
شخصية يشاء . دون أن ينكشف أمره ^{١٤} . يا للسذاجة !
حتى (نيتشة) نفسه ، لم يبلغ هذا الحد بأفكاره (*)
قال (توماس) في حدة :

- كفى يا (بل) . لسنا هنا بصدد الدخول في مناقشات
أدبية أو فلسفية ، وإنما اجتمعنا لتحديد موقفنا من
العملية الجديدة . هل سننخذ قرارتنا باغتيال ذلك
الشخص أم لا ؟ . وهل سنقبل عرض السفيرة بالعمل
في منظمته ، أم نستمر في العمل لحسابنا ؟
أجابه القاتل الآخر (آرثر ميلوسكي) :

- لو أن ما جاء بملف هذا الرجل حقيقي ، فالحقضاء
عليه لن يكون سهلًا أبدًا .

قال (توماس) :

- هذا صحيح ، ولهذا كان المبلغ الباهظ

(*) (فريد - ربح فيهم نيتشة) (١٨٤٤ - ١٩٠٠) فيلسوف
ألماني عبقري . أصبح أستاذ لاصول اللغة عام ١٨٦٩ م . ولكنه أصيب
بالتجنون عام ١٨٨٩ م . هاجم الحضارة الغربية المسيحية ، وبادى
بمحدثات انقلاب في كل ما تعترف به من قيم اخلاقية ، ويرتفع الإنسان
روح وجسدا . في نظرية عرف بـ (نظرية الصوب - مان)

مط (أندريه كال) شقيقه ، وقال :

- إنه يستحق بذل الجهد .

أدار (توماس) عينيه في وجوههم . قائلا :

- إذن فأنتم توافقون على تولي الأمر .

أجابه (تيد برونسون) :

- بالتأكيد من النادر أن يحظى تنظيمنا بصفقة كهذه

سأله (توماس) :

- وماذا عن العمل لحساب السنيورا ؟

تبادلوا جميعا نظرات متسائلة . قبل أن يقول (توني

ويلكوكس) :

- دعنا نتخلص من (أدوم صبرى) هذا أولاً ، وبعدها

نناقش هذه النقطة .

قال (توماس) :

- عظيم سنعلن السنيورا إذن ببدء تنفيذ العملية .

وسنضع خططنا . ونبدأ العمل على الفور ، دون إبطاء

سأله (تشارلز دار) :

- وهل سننطلق جميعا لتنفيذ المهمة ، كما طلبت

السنيورا ؟

صمت (توماس) بضع لحظات . قبل أن يهز رأسه

نفياً ، قائلا :

- هذا أمر غير منطقي . إن جميعا من المحترفين ،

ومهما بلغت قوة وبراعة (أدوم صبرى) هذا ، فنصف

عددنا يكفي لسحقه سحقاً .

لا بأس من أن نخبر السنيورا أننا سنتولى المهمة

جميعاً . ولكننا في الواقع سننتخب من بيننا خمسة لأداء

المهمة . وهذا أضخم عدد من القتلة المحترفين . تم

استخدامه عبر التاريخ ، لتخلص من رجل واحد .

ودار بعينه في وجوههم . مستطرداً :

- سنسند المهمة إلى (آرثر ميلوسكى) ، خبير

التفجير . و (ألفريد جاكسون) ، خبير القتال والكراتيه .

و (تشارلز دار) و (توني ويلكوكس) ، خبيرا الأسلحة .

وأخيراً (جيسون تاتج) ، خبير السموم والكيمائيات

أعتقد أنكم فريق متكامل ، لا يمكن أن يصمد أمامه

أقوى الرجال .

وابتسم ، مضيقاً :

- حتى ولو كان (أدوم صبرى) هذا .

قلها . وهو يضع توقعه على منق (أدوم)

وإن هذا التوقع بمثابة النطق بالحكم

حكم الإعدام .

* * *

٩- قنبلة..

تسللت أشعة شمس (نيويورك) الدافئة ، عبر زجاج سيرة (أدهم) ، لتغمر وجه (جيهان) ، التي تعلمت لحظة ، ثم رفعت يدها لتحجب وجهها ، وهي تفتح عينيها ، مغمضة :

- هل وصلنا إلى (نيويورك) ؟

سمعت صوت (قدري) من خلفها ، يقول في حنان :

- صباح الخير يا أنسى الصغيرة .

التفتت إليه في دهشة ، وتطلعت إلى مقعد القيادة

الخالى ، قبل أن تقول :

- صباح الخير يا أستاذ (قدري) .. أين (أدهم) ؟

أجابها باهتسامة أبوية حنون :

- ذهب للاطمئنان على (منى) .

انتبهت ، في هذه اللحظة فقط ، إلى أن السيارة تقف

في ساحة الانتظار ، أمام المستشفى المركزي في

(نيويورك) ، فاعتدلت متممة :

- هل وصلنا منذ زمن ؟

وما (قدري) برأسه إيجابيا ، وقل :

- منذ ربع الساعة تقريبا ، ولكن (أدهم) لم يشأ أن يوقظك . وقال إنك عانيت الكثير أمس ، وتحتاجين إلى نوم عميق .

تحنّنت ، وحاولت أن تتطلع إلى المراة الجانبية ، قائلة :

- لا ريب في أنني أبدو بشعة . عندما أستيقظ من النوم .

ابتسم (قدري) ، قائلا :

- لو أن هذه هي بشاعتك ، فأرجو ألا تسمحى لى برويتك في لحظات الانتعاش ، فليست اعتقد أن قلبى يمكن أن يحتمل فتنتك الطاغية حينذاك .

ضحكت لعبارته في جدل ، وهي تقول :

- أنت مجامل يا أستاذ (قدري) .

مزّ كتفيه المكتظتين ، قائلا :

- بالطبع ، فأنا أجامل نفسي ، عندما أقول : إن قلبى وحده سيتأثر ، فأنا واثق من أن كياتى كله سيخر ساجدا أمام جمالك حينذاك .

ضحكت مرة أخرى ، وقد راقبت لها عبارته كثيرا ، وقالت :

- دعنا نختبر هذا إذن .. سأخرج لغسل وجهى

وتصفيف شعري . وأضع القليل من لمسات الزينة . ثم
أعود إليك ، لأرى ماذا يحدث ؟
قال مداعباً :

.. يا لقسوتك ! هل ترغبين في تدميرى إلى هذا
الحد ؟

ضحكت للمرة الثالثة فى مرح . وهى تغادر السيارة .
وتتجه إلى المستشفى . ثم لم تلبث أن مطت شفيتها .
قائلة :

.. لماذا لا يصاب (أدهم) بالعدوى منه ؟

قالتها . وهزت كتفها . وهى تمضى إلى حجرة
السيدات بالمستشفى . لتعدل زينتها وتؤدى طقوسها
الصباحية . ثم غادرتها بعد ربع الساعة . وهنت
بالعودة إلى السيارة . إلا أنها لم تلبث أن توقفت .
وغضمت :

.. لم يمكنه العمل . قبل أن يطمئن عليها .. يا لها من
علاقة !

كانت تشعر بالكثير من الغيرة . مع تلك الرابطة
القوية . التى تربط ما بين (أدهم) و (منى) . وينتبهها
الفضول لمعرفة ما يدور هناك الآن
فى حجرة العناية الفائقة ..

حيث ترقد (منى) ..

حاولت مقدومة فضولها الأتوى العيف . إلا أنها لم
تستطع . فتمتمت :

.. ونم لا ؟

ثم اتجهت فى حزم إلى حجرة العناية المركزة . ولم
تكد تبلغها . حتى توقفت مبهوتة . امام المشهد الذى
وقعت عليه عينها . عبر الواجهة الزجاجية للحجرة

كان (أدهم) يجلس إلى جوار (منى) . التى رقدت
على فراشها صامتة شاحبة ساكنة . وعشرات الأنابيب
والخراطيم والأسلاك تتصل بجسدها . وتنقل إليها
سوائل الحياة . أو تنقل منها إشارات خاصة . لمتابعة
كل معدلاتها الحيوية . فوق شاشات عديدة . مترامية
فى المكان . و (أدهم) يمسك يدها فى حنان بالغ .
ويهمس فى أذنها بكلمات لا يسمعها سواهما .

وعلى الرغم منها . استخدمت (جيهان) مهارتها
الفريدة . فى قراءة الكلمات . عبر حركات الشفاه .

واعترضت قبضة باردة قلبها فى عنف

لقد كنن (أدهم) يهمس فى أذن (منى) بأقوى
كلمات حب وهيام سمعتها . فى حياتها كلها
كلمات تكفى لإذابة جبل من الجليد ..

ولإذابة عيائها كله ..

وفي غيرة وحسرة ومرارة ، عضت شفتيها السفلى .
وهي تتابع المشهد ، ولم تنتبه إلى خيوط الدموع ، التي
استغلت شرودها ، وتسببت عبر مقلتيها ، وراحت تنحدر
على وجهها في صمت ..

ولم تكتف دموعها بالانهمار من عينيها ، وإنما
راحت تغسل قلبها المرتجف ، وتغمره بلهيبها ، حتى
كاد ينهار وسط ضلوعها ..

إنه يحب (منى) بحق ..

يحبها كما لم تر حباً من قبل ..

وهذا يعني أنه ليست أمامها فرصة واحدة للفوز
بحبه ..

أية فرصة ..

تهدت في قوة ، وهي تشيح بوجهها ، و...

ولجأة ، وقع بصرها على المفتش (هاتكس) ، وهو
يتجه إلى حجرة الطوارئ ، ويقتحمها ، قائلاً :
- كنت أعلم أنني سأجده هنا .

التفت إليه (أدهم) في هدوء ، وهو يقول في
صرامة :

- اصمت .

برقت عينا (هاتكس) في ظفر ، وهو يشير لرجاله
الخمسة بمحاصرة المكان ، قائلاً :

- منفت أشار إلى علاقتك القوية بزميلتك هذه ، التي
ترقد فائدة الوعي في المستشفى المركزي ، وكان من
السهل ان نستنتج أنك ستأتي للاطمئنان عليها ، إن
عجلاً أو أجلاً ، وهذه نقطة ضعف ضخمة في شخصيتك
بارجل .

أعاد (أدهم) يد (منى) إلى جوارها في رفق ، وهو
يكرز في صرامة :

- اصمت . هذا المكان لا يصلح لمثل هذه
السخافات ، ثم إنك تزعج (منى) بأسلوبك هذا .

لوح (هاتكس) بيده ، قائلاً :

- أمر صديقتك هذا لا يعني ، فكل ما كنت أحتاج
إليه منها هو ..

انقض (أدهم) عليه بغتة ، وأمسك معصمه ، ولوى
ذراعه خلف ظهره في سرعة وعنف ، ثم دفعه أمامه
في قسوة إلى خارج الحجرة ، قائلاً :

- قلت لك : اصمت .

هتف (هاتكس) في مزيج من الدهشة والذعر :

- ماذا تفعل !؟

وفي نفس اللحظة ، استل رجاله الخمسة مسدساتهم ، ولكن صوت (جيهان) اتبعث من خلفهم . وهي تقول في صرامة :

- حذار ان يحتفظ أيكم بمسدسه . ساطق النار على من يظل ممسكا بمسدس . بعد ثلاث ثوان من الآن . أنقوا أسلحتهم على الفور ، وارتفعت أيديهم باستسلام محقق ، ورئيسهم (هاتكس) يهتف :

- ما تفعله جريمة فيدرالية . لا بد وأن تدرك هذا .. ليس من حقك مقاومة شرطى فيدرالى أجابه (أدهم) في صرامة ، وهو يدفعه أمامه في قسوة وهزم :

- أعمل عقلك يا رجل ، وستدرك أننا لسنا خصمين كما تتصور ، فكلانا يسعى خلف الهدف نفسه ، ومن الخطأ أن نتقاتل ، ونترك الفرصة لخصمنا ، لينتصر علينا معا .

لم يفهم (هاتكس) ما يعنيه (أدهم) بقوله ، فقال في حدة :

- لقد هاجمت القاعدة الجوية ، واختطف طائرة هنيوكوبتر حربية . وهذا عمل غير مشروع . أجابه (أدهم) في صوت قوى :

- راجع ملفات الجنرال (أيدن) ، وستفهم لماذا فعلت هذا ؟

كان يتحدث إليه ، وهو يدفعه أمامه نحو الباب الخارجى ، و (جيهان) تتراجع معه في حذر ، مصوبة مسدسها إلى الرجال الخمسة ، عندما اتبته فجأة إلى سيارة تعبر حديقة المستشفى . وتتجه نحو بابها الخارجى بسرعة أكبر مما ينبغي ، على نحو يوحى بأنها لا تتوى قط التوقف أمام الباب .

ثم التفت عينه فوهة المدفع الألى ، التى أطلقت من نافذة السيارة ، فصاح وهو يدفع (هاتكس) بعيدا : - احترسوا .

قالها ، ووثب أرضا ، وهو يجذب (جيهان) معه .. وفي اللحظة نفسها ، انطلقت الرصاصات .. سيل من الرصاصات ، عبر فوهتى مدفعين آليين ، وحطم الواجهة الزجاجية الكبيرة ، للباب الرئيسى للمستشفى المركزى ، بدوى هائل رهيب ، وفي نفس اللحظة ، التى توقفت فيها السيارة ، وإطاراتها تطلق صريرا مخيفا . و (هاتكس) يصرخ :

- اللعنة !.. ماذا يحدث هنا ؟. ماذا يحدث هنا ؟ قفز (ماتسون) و (جساك) و (ألبرت) من السيارة .

وكل منهم يحمل مدفعه الآلى ، وصاح الأول :

- لا تفسدوا أثر المفاجأة . اقتلوه على الفور

أدرك (أدهم) من اللحظة الأولى أنهم يهدفون إليه .
فانتزع مسدسه بسرعة مذهشة . وسط موجة الرعب
الهائلة ، التى ملأت المستشفى ، وجعلت الصرخات
تنطلق من كل صوب فيه . وأطلق رصاصاته نحو أقرب
الرجال الثلاثة إليه . فطاح بمدفع (جاك) ، فى حين
واصل (ماتسون) و (ألبرت) هجومهما العنيف . غير
مبالين بطبيعة الساعة ، التى اختاراهما لقتالهما ، ولا بما
يمكن أن يصيب قاطنيها ، من جراء موقف عنيف
مهاغت كهذا ..

وفى هذا ، كانا ينفذان أوامر الجنرال (تورنسول)
بمنتهى الدقة ..

لابد أن يتم الهجوم فى مكان لا يمكن توقعه ، حتى
يكون عامل المفاجأة كاملاً ..

ولابد أن يتم بمنتهى القوة والعنف ، بحيث لا يمنح
الخصم لحظة واحدة للتفكير والتدبير . أو اتخاذ اللزم
للمواجهة أو الدفاع ..

ولأنهم أيضاً راجعوا ملف (أدهم) كله ، كان من
الطبع أن يبحثوا عنه هنا ..

فى المستشفى .

وأن يبدؤوا هجومهم فور رؤيته ..

دون النظر إلى أية عوامل أخرى .

ولكن المشكلة التى واجهتهم ، هى أن خصمهم ليس
رجلاً عادياً ..

صحيح أن المفاجأة كانت قوية عنيفة .

وأن (أدهم) لم يكن ليتوقع أبداً ، أن يتم الهجوم فى
المستشفى ..

إلا أن عقله استوعب الموقف بسرعة مذهلة كعادته ،
ودرسه جيداً ، فى جزء من الثانية ، ثم انتقل إلى مرحلة
التفكير ، قبل أن تكتمل هذه الثانية ..

ومرة أخرى ، انطلقت رصاصاته نحو (ماتسون)
و (ألبرت) ، ففقد الأول مدفعه الآلى ، فى حين راح
الثانى يطلق رصاصاته ، مع صرخة رهيبية ، تكفى
لإصابة مريض القلب بأزمة عنيفة ، أو بسكتة قلبية
مهاغنة ..

وبلا تردد ، أطلقت (جيهان) رصاصاتها نحو
(ألبرت) ..

وأصابته بثلاث منها فى صدره ..

ولكن العجيب أنها لم توقظه ..

فقد كان الرجال الثلاثة يرتدّون دروعا واقية من
الرصاصات . تحت ثيابهم المدنية العادية

وفي غضب . ادار (البرت) قوّة مدفعه الالى نحو
(جيهان) ، صارخا :

- ستموتين أيّتها الحفيرة .

ولكن رصاصات (أدهم) انطلقت في اللحظة نفسها .
لتخترق رغبة (البرت) . وفخذه ، وساقه

وسقط (البرت) ، على مسافة أمتار خمسة من
(أدهم) و (جيهان) . والأخيرة تهتف :

- كان الأفضل أن تنسف رأسه .. لو أنني أطلقت
النار أولاً لفعلت .

هتف وهو يهب واقفا على قدميه ، ويندفع نحو
(ماتسون) و (جاك) ، اللذين يحاولان التقاط مدفعيهما
ثانية :

- من حسن الحظ أنك لست في مكاني .

راه (ماتسون) ينسفع نحوه ، فالتقط مسدسه
بسرعة ، وهتف :

- لن تفلح أيّها الـ ..

قبل أن يتم عبرته ، وثب (أدهم) في مهارة . ودار
حول نفسه في الهواء ، وركله في أنفه في قوّة . فأطاح

به بعيدا . في نفس اللحظة التي التفت فيها (جاك)
مدفعه بالفعل ، وصوبه إليه ، و..

وأطلق النار ..

ولو أن الأمر سار على هذا النحو . في الانتقال من
سطر إلى آخر . لكان من الطبيعي أن يلقي (أدهم)

مصرعه برصاصات (جاك) ..

ولكن الواقع أنه هناك سطر ناقص . ما بين
المطرين ..

ففي نفس اللحظة ، التي صوب فيها (جاك) مدفعه
إلى (أدهم) ، اندفعت نحوه (جيهان) ، هاتفة .

- ليس بهذه السهولة ..

ثم أطلقت رصاصات مسدسها نحوه

وأصاب رصاصاتها كلها صدر (جاك) ، فدفعته إلى
الخلف . بحركة عنيفة مباغتة ، فارتفعت قوّة مدفعه

الالى . وانطلقت رصاصاته كلها في الهواء .

وقبل أن يستعيد توازنه ، كانت تنقض عليه . وتهوى
على فكه بلكمة كالقنبلة ، قائلة :

- كنت أتمنى نصف رأسك القبي .

ثم دارت حول نفسها . وهي ترتفع بجسدها . لتركله
في أنفه ، مستطردة :

- ولكن رئيسي يرفض هذا الأسلوب الحاسم .
شاهد (هاتكس) هذا القتال العنيف ، فهتف برجاله :
- استعيدوا مسدساتكم يا رجال .. سنضع هذا لهذا
العيب غير المستول .
سمع (أدهم) العبارة ، فجذب (جيهان) من يدها .
قائلا :

- هيا بنا .. لم يعد لنا مكان هنا .
انطلقا بعدوان بأقصى سرعتيهما نحو السيارة ، التي
انطلق بها (قدرى) لاستقبالهما ، و (هاتكس) يهتف
فى توتر :

- توقفنا أو أطلق النار ..
أما رجاله الخمسة ، فلم ينتظروا أوامره ، وراحوا
يطلقون النار مباشرة ..
وفى سرعة ، دفع (أدهم) (جيهان) داخل السيارة ،
ثم وثب إلى جوار (قدرى) هاتفا :
- انطلق يا رجل ، وبأقصى سرعة
انطلق (قدرى) بالسيارة ، تلاحقه رصاصات
(هاتكس) ورجالها ، وهتف الأخير فى صرامة :
- الحقوا بهم .. لا تسمحوا لهم بالفرار .
هيا (ماتسون) ، قاتلا فى حزم :



ثم درأت حول نفسها ، وهى ترفع نخسدها ، لم تكن فى أشبه
مضطردة - ولكن رئيسي يرفض هذا الأسلوب الحاسم

- اطمئن .. لن يذهبوا بعيدا .

صاح به (هانكس) :

- انتظر انتي ألقى القبض عليك . بتهمة انه

قاطعه (ماتسون) . وهو ينقض على سيرته .

وينتزع منها مدفعا صاروخيا :

- صه يا رجل . ند نسمع جهاز المخابرات

اتسعت عينا (هانكس) ، وهو يهتف :

- المخابرات ١٢ ؟

تجاهله (ماتسون) تماما . وهو يضع المدفع على

كتفه . ويصوبه إلى السيارة . أنتي يجاهد بها

(قدرى) . للانطلاق وسط ازدحام السيارات عند مدخل

الحديقة ، و ...

وأطلق (ماتسون) صاروخه ..

وأصاب هدفه كمحترف ..

ودوى الانفجار ..

* * *

ثانية واحدة . كانت لفصل بين الحياة والموت

ثانية واحدة انتبه فيها (أدهم) إلى (ماتسون) .

الذى يصوب اليهم مدفعه . وبهم بإطلاق صاروخه

وفي هذه الثانية . درس (أدهم) الموقف كله ..

مخرج المستشفى مزدحم بالسيارات . التي تحاول

الفرار . بعد ان امتلئت تلك الحرب المحدودة .

و (ماتسون) محترف . لا يمكنه ان يخطئ إصابة هدفه

قط . و (قدرى) هو الذى يقود السيارة . و ..

واتخذ قراره . قبل ان تنتهى الثانية

بل . ووضع موضع التنفيذ ..

وبكل قوته . دفع (قدرى) امامه إلى خارج السيارة .

وهو يهتف به (جيهان) :

- اقضى .

أطاعته (جيهان) فى تلقائية . دون حتى ان تلتفت

خلفها . ووثبت خارج السيارة . وتركت جسدها يتدحرج

مبتعدا عنها فى سرعة . فى حين أحاط (أدهم)

(قدرى) بنراعيه . وهو يهتف به :

- تعاون معي يا رجل .

ولكن جسد (قدرى) البدين لم يكن ليستجيب فى

يسر . فى حين كان (ماتسون) قد أطلق صاروخه

بالفعل ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجرت السيارة بدوى هائل . أصاب نزيلين بسكينة

قنبية فعنية . وانطلقت الشظايا فى كل مكان . واطلق

(قدرى) صرخة ألم هائلة ، عندما انفجر طرف المرأة
الجنسية المتطيرة فى ظهره ، على قيد سنتيمتر واحد
من قلبه ، وشعر (أدم) بألم عنيف فى ذراعه
اليسرى . فى حين حمت (جيهان) وجهها ، ونيران
الانفجار تملح جسدها وساقىها ..

وفى ذهول ، هتف (هاتكس) :
- رباه !.. لقد نجوا .

انعقد حاجبا (مانسون) فى غضب هادر ، وهو
يصرخ :

- اللعنة !

وصوب مدفعه مرة أخرى نحو (أدم) و (قدرى) ..
ولكن (أدم) كان قد اتخذ قرارا جديدا ..
وحاسما .

لقد صنف خصومه ، وأدرك أن (هاتكس) ورجاله
يسعون لنظفر به واستجوابه ، لمعرفة ما يخفيه ، فى
حين يسعى (مانسون) ورجليه لمسحه سحقا ..

لذا ، فلم يكن الاختيار عسيرا ..

لقد صوب مسدسه فى سرعة إلى (مانسون) .

وأطلق النار ..

واحترق رصاصاته ساقى (مانسون) وذراعيه .

فاتهار أرضا ، وهو يطلق صرخة ألم ، ويهتف :
- اللعنة !.. اقتلوا هذا الوغد .. اقتلوه ..

ولكن (أدم) قال : (جيهان) فى حزم ، وهو يجذب
(قدرى) خلف سيارة قريبة .

- امهرى .. أسرعى .

هتفت به :

- محال .. لن أتركك وحدك .

صاح بها فى غضب صارم :
- هذا أمر .

قالت فى عناد :

- وما عقوبة رفض طاعة الأوامر ؟

انعقد حاجبا فى غضب هادر ، وهو يجيب :
- الإعدام .

أدهشها أن نطق الكلمة بمنتهى الجدية والحزم ، فحدقت
فيه لحظة ، ثم قالت ، وهى تختفى خلف سيارة أخرى
- وماذا عنك ؟

كن (هاتكس) ورجاله قد سيطروا على الموقف كله
تقريبا ، بعد إصابة (مانسون) ورجاله ، وهتف هذا
الأخير :

- استسلم يا مستر (صبرى) لن تجد مكانا تذهب

إليه . ونحن نعلم أنك ستعود إلى هنا حتما . من أجل زميلتك .

فاتعد حاجبا (أدهم) . وهو يقول له (جيهان) في حزم :

- لا يمكنني أن اتخلي عن (قدرى) و (منى)

ثم أضاف في سرعة :

- كما أنك ستصبحين خط دفاعى الثانى

أدركت مقصده على الفور . فانتظمت تعدو مبتعدة

بأقصى سرعة ، وهى تهتف بالعربية :

- سأظل فى الجوار .

ورأها (هاتكس) تبعد ، فصاح فى رجاله :

- أوقفوها .

ولكن (أدهم) أطلق رصاصاته نحوه ، وهو يغمغم :

- ليس بهذه البساطة .

أصاب رصاصاته مسدساتهم . وأطاحت بها بعيدا ،

دون أن تمسهم بسوء . فتراجعوا فى ذهول ممترج

بالذعر ، وهتف (هاتكس) :

- مستحيل !.. كيف فعل هذا ؟؟

اختنس (أدهم) نظرة إلى (جيهان) ، التى اندست

وسط لرحام . وهى تعيد مسدسها إلى جيبها . ثم لم

تلبث أن اختفت بين السيارات وجموع البشر . الذين

يراقبون ما يحدث من بعيد . وقال بصوت مرتفع
- ما زلت أكرر أيها المفتش كذبتا يعمل فى الجاب
نفسه .

صاح به (هاتكس) :

- استسلم أولا . وسندقق هذا فيما بعد

كن هذا يتفق تماما مع ما قدره (أدهم) . الذى

صاح :

- زميلى يحتاج إلى إسعاف عاجل .

أجاب (هاتكس) :

- سنوفر له كل ما يحتاج إليه .

نهض (أدهم) ، قائلا :

- فى هذه الحالة ..

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع صوت غاضب يهتف :

- فى هذه الحالة سأرسلك إلى الجحيم

ومن خلف (هاتكس) ، بدا (ألبرت) جالس على

الأرض ، بركبتيه المصابتين ، وهو يحمل المدفع

الصاروخى على كتفه ، و ..

ويطلقه ..

نحو الهدف مباشرة ..

نحو (أدهم) ..

(أدهم صبرى) -

* * *

١٠ - قبضة السلطة ..

اندفع القاتل المحترف (تشارلز دار) إلى مقر منظمة القتل ، ووجهه وصوته يحملان امارات انفعال جارف . وهو يهتف :

- (توماس) (توماس) أين أنت يا رجل ؟!
كان (توماس كلارك) يجري محادثة في هذه اللحظة ، فقال بصوت مرتفع :

- أنا هنا يا (شارلي) .. ماذا هناك ؟

لوح (تشارلز) بيده في حرارة ، قائلاً :

- هل بلغت أخبار أحداث المستشفى المركزي ؟

أجابته في دهشة :

- أية أحداث ؟!

هتف (تشارلز) :

- هناك تسان إطلاق تيران عند المستشفى . وبعضهم

استخدم صروخاً . إنها الحادثة الأولى من نوعها .

و (التليفزيون) ينقل بصورة على الهواء مباشرة .

قال (توماس) في حيرة :

- هذا صحيح . ولكن ما الذي يشير اهتمامك بشأنها

إلى هذا الحد ؟ .. إنك لم تعد التفاعل مع الأحداث العامة على هذا النحو قط !!

أشار (تشارلز) بسبابته ، قائلاً :

- هذا لأن حادث المستشفى ليس مجرد حادثة عامة

تقنيدية . إنها حادثة يهمنا أمرها بشدة

ثم اتجه إلى جهاز (التليفزيون) ، وأشعله

مستعزداً :

- وبالذات في هذه الأيام .

تطلع (توماس) في اهتمام إلى شاشة

(التليفزيون) ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، متعماً :

- مستحيل ! .. إنه هو !!

أجابته (تشارلز) في انفعال :

- في البداية لم أصدق نفسي ، وقلت إنه من

المستحيل أن تضعه الظروف أمامنا بهذه البساطة . ثم

لم ألبث أن تأكدت من أنه هو نفسه (أدهم صبرى) .

الذي تسعى خلفه .. ها هوذا أمامنا .

صمت (توماس) لحظات ، وهو يتابع المشهد ، ثم

قال :

- وبم يفيدنا هذا ؟!

أجابته (تشارلز) :

- لقد حددنا موقعه على الأكل .

قال (توماس) فى بطاء . وكنته يزن كل حرف . قبل ان ينطق به :

- وهل تعتقد أنه سيبقى هناك ؟

أجاب (تشارلز) فى حماس :

- لقد تحطمت سيرته كما ترى . ولم يعد الفرار سهلا ، ثم إن زميله البدين مصاب . وملفه يؤكد أنه ليس من الطراز الذى يمكن أن يتخلى عن رفيقه . مهما كانت الأسباب .

قال (توماس) مترددا :

- هل تعتقد أنه سيستسلم ؟

أوما (تشارلز) برأسه إيجابيا ، وهو يقول :

- لن يدهشنى هذا .

قال (توماس) معترضنا :

- ولكن ملفه يقول : إنه ليس من الطراز الذى

يستسلم للهزيمة فى سهولة .

هز (تشارلز) كتفيه ، قائلا :

- ومن قال إنه سيستسلم للهزيمة ؟! . نقد درست

موقعه جيدا ، ووجدت أن ذكاه سيجد أن الاستسلام هو

فصر م يمكن ان يفعله . فى هذه المرحلة من القتال .

فقد قاتل بوجه عار طوال الوقت . واكشف امره تماما .

والكل يعلم أن تلك الراقدة فى حجرة العناية الفدقة فى

المستشفى زميلة ، وأن المصاب زميله . ولو أنه

استخدم كفاءته وقدراته للفرار . سيكون عليه ان يترك

زمينه وزميلة فى قبضة اعدائه . الذين لن يتورعوا فى

استغلالهما للإيقاع به . اما لو استسلم . وسمح لهم

بالقاء القبض عليه . فلن يصبح لزميله الاهمية

نفسها . وسيتمكن من تهريبهما بوسطة أحد زملائه

فيما بعد . دون أن يضطر للقتال فى عنف من اجل هذا

عقد (توماس) حاجبيه . وهو يتطنع إلى الشائسة .

مغمفا :

- فكرة عبقرية !.. ولكنى ما زلت أتساءل . بم يفيدنا

استسلامه هذا ؟

ابتسم (تشارلز) فى خبث ، قائلا :

- انقانون يحتم وضعه فى الحبس الاحتياطى عندئذ .

وأعتقد ان لدينا العديد من الاصدقاء فى السجن

المركزى فى (نيويورك) . أليس كذلك ؟

ارتفع حاجبا (توماس) . وتآلفت عيناه . وهو يقول

- بلى اصدقاءنا بالعشرات . فى إدارة السجن .

وبين المسجونين أنفسهم .

وضع (تشارلز) يده على كتفه . مكملا :

- وهذا يجعل انقضاء عليه أكثر يسرا .

هتف (توماس) في حماس :

- بالتأكيد

ثم انعقد حاجباه فجأة ، وهو يحدق في شاشة (التلفزيون) ، مستطرذا في انفعال :

- هذا لو بقي على قيد الحياة ، حتى يصل إلى السجن المركزي .

التفت (تشارلز) بدوره إلى الشاشة ، وانعقد حاجباه أيضا ، وهو يحدق في (ألبرت) الذي ظهرت صورته وهو يطلق صاروخه نحو (أدهم) ..
ويختفي الدقة ..

* * *

كانت مبادرة (ألبرت) مباغطة بحق ، فلم يتوقع (أدهم) أبدا أن يقدم الرجل على هذا ، بعد أن حطم ركبتيه برصاصات مسدسه ..

ولقد أطلق (ألبرت) صاروخه ، قبل أن يجد (هاتكس) ورجاله الفرصة لمنعه

ولكن (أدهم) تحرك بسرعة مذهشة ..

لقد اتحنى بسرعة ، ثم وثب وثبة هائلة مذهشة .

ليحمي (قدرى) بجسده ، وهو يهتف :

- احترس .

ومع آخر حروف هتافه ، انفجر الصاروخ .

انفجر على مسافة خمسة أمتار منه فحسب .
واتطنقت منه موجة تضغط عنيفة . بلغ من شدتها أن انتزعته مع (قدرى) من الأرض ، وألقتهما مترين إلى الأمام ، مع سيل من الشظايا ، تناثر حولهما لمسافة واسعة ، وتساقط على جسديهما ، على هيئة قطع صغيرة مشتتة ، نفضها (أدهم) في سرعة ، وهو يسأل (قدرى) :

- أنت بخير ؟

ارتجج جسد (قدرى) كله ، وهو يقول في انفعال :

- لقد حميتني بجسدك .. أنت حميتني بجسدك .

سأله (أدهم) :

- المهم أنك بخير .. أليس كذلك ؟

انفجر (قدرى) باكيا ، من فرط الانفعال ، في نفس اللحظة التي وصل فيها (هاتكس) ورجاله إلى حيث يرقد (أدهم) و (قدرى) ، واتحنى يسألهما :

- هل أصابتكما الشظايا ؟

مز (أدهم) رأسه نفيا ، وهو يجيب :

- تلا والحمد لله ، ولكن صديقى مصاب من انفجار
السيارة ، ومرتأها مفروسة فى ظهره ، وستحتاج إلى
جراح برع لاتزاعها منه ، دون أن يؤذى قلبه
أجابه (قدرى) بصوت متهدج :

- اطمن يا اصدق الأصدقاء هذه واحدة من فوائد
طبقة الدهن السمكية ، التى تغطى جسدى ، فهى
تحيطنى بغلاف قوى ، يصعب احتراقه لإصابة قلبى
اتدفع رجال الإسعاف من المستشفى فى هذه اللحظة ،
وهم يحملون محفة كبيرة ، لينقلوا (قدرى) إلى قسم
الطوارئ ، فسعر هذا الأخير ، وهو يقول :

- إتهما اثنان فقط يا (أدهم) هل تعتقد أنهما
يستطيعان حملى ؟

ابتسم (أدهم) ، قائلا :

- هناك اثنان آخران ، فى طريقهما إلى هنا يا صديقى .
وضع (هاتكس) يده على كتف (أدهم) ، قائلا :

- صدقتى يا رجل أنا شديد الإعجاب بقوتك
ومهارتك واصرارك ، ولكن القانون يحتم على أن أنقى
القبض عليك .

أوما (أدهم) براسه متفهم ، وهو يقول :

- أنا رهن إشارتك .

احاط (هاتكس) معصميه بلاغلا ، و (قدرى)

يسعل ، قائلا بالعربية :

- عد إلينا بسرعة .

ابتسم (أدهم) ، قائلا بالعربية أيضا :

- سأبذل قصارى جهدى .

سأله (هاتكس) متوترا :

- ماذا تقولان ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- إنه يتمنى لى حظا سعيدا فحسب .

رمقه (هاتكس) بنظرة شك ، قبل أن يقول :

- فليكن . أماننا وقت طويل نتحدث فيه معا ،
وأنعشم أن تقص على قصة حياتك كلها عندئذ

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلا :

- ألدبك ما يكفى من الوقت ؟

عقد (هاتكس) حاجبيه ، وهو يقول :

- وفقى كله لك .

لم يتبادلا حرفا واحدا ، بعد عبارة (هاتكس)
الاخيرة ، وسيارة المباحث الفيدرالية تحملهما مبتعدة
عن منطقة الحادث ، اتى اكتظت بالمشاهدين ورجال
الصحافة والإعلام ، الذين اندست بينهم فتاة جميلة .
راحت تتبع ابتعاد السيارة فى قلق بانغ ..

فتاة اسمها (جيهان) ..

(جيهان فريد) ..

* * *

اتخذت حاجبا السنيورا في شدة ، وهي تتابع هذه المشاهد على شاشة (التليفزيون) ، وبدأ عليها مزيج من التوتر والحيرة ، وهي تضعف :

— لو أن هذا الصراع يحمل توقيع (توماس) وفريقه ، فأقسم أن أسحقهم سحقا .

والتفتت سماعة الهاتف في عصبية ، ومساعدتها تقول :

— ألا يدهشك يا سنيورا أن (أدهم صبرى) يقاتل بوجه عار هذه المرة ؟

أجابتها السنيورا ، وهي تطلب رقم (توماس) :
— هذا يدهشني بالتأكيد ، ولكنني واثقة من أن لديه دافعا قويا لهذا ، فهو لا يمكن أن يرتكب هذه الحماقة قط .
قالت المساعدة في حيرة :

— أي دافع هذا ؟ .. إنه يكشف وجهه وهويته ، ويعرض مهمته كلها للخطر .

أجابتها السنيورا في حزم :

— لو أن التوصل إلى الدافع بسيط إلى هذا الحد ، لما

أصبح (أدهم صبرى) واحدا من أقوى رجال المخابرات وأبرعهم في العالم لا تفكر في هذا الآن ، فسيظهر الدافع في حينه .

ثم انعقد حدهم ، وهي تستطرد ، عبر الهاتف .
— أو .. إنه يا (توم) السنيورا ، قل لي : ألكم صلة بما تنقنه شاشات (التليفزيون) الآن ؟

أجابها (توماس) في سرعة :
— مطلقا يا سنيورا .. لسنا ندري حتى من هؤلاء ، الذين سعوا لقتله بكل هذا العنف ، وفي مكان كهذا !
ثم أضاف في اهتمام :

— ولكننا نستطيع الإفادة مما حدث بشدة صألته في حذر :
— وكيف هذا ؟

أجابها في حماس :
— إنهم سيحتجزونه حتما في السجن المركزي ، ولدينا أصدقاء صديون هناك .

صمتت طويلا دون تعليق ، فتبع متوترا :
— والأصدقاء يفعلون الكثير ، في مثل هذه الظروف .
صمتت لحظة أخرى ، قبل أن تقول في انقباض :

.. سنرى

وانتهت المحادثة في حزم متوتر . ثم اتسعت واحدة من سجانرها الرفيعة الطويلة . ونفتت دخاتها في قوة . وهي تفكر في عمق . فسالتها مساعدتها :

- ما الذي يقلقك يا سنيورا ؟

هزت السنيورا رأسها . وهي تتنهد في حرارة . قبل أن تقول :

- أخبريني .. كيف يمكن لرجل مثل (أدهم صبرى)

أن يستسلم بهذه البساطة ؟

أجابتها مساعدتها في حذر :

- ربما لم يكن أمامه سبيل آخر .

هتفت السنيورا :

- (أدهم) ؟ إنه يمتلك موهبة مذهشة . في إيجاد

حل لكل مازق .

قالت المساعدة مترددة :

- ولكن زميله كان مصابا . ورفيقته ما زالت فاقدة

الوعي ، و ...

قطعتها السنيورا ، وهي تعيد بحركة حادة :

- مهلا .

بترت المساعدة عبارتها في توتر . وتطنعت الى

السنيورا في اهتمام وفضول . فاستغرقت هذه لآخر

في تفكير عميق دام بضع لحظات . قبل أن ترتسم على شفيتها ابتسامة جذلة ، مفعمة بالخبت والثقة والدهاء . وهي تفهم :

- آه .. هذه لعبتك إذن يا (أدهم)

ثم أدارت عينيها الى مساعدتها . وسالتها بغتة :

- هل تعرفين لماذا يميل كل زعماء العصابات ، الى

اتخاذ (نيويورك) مقراً لهم ؟

أجابتها مساعدتها :

- لأنها مدينة كبيرة ، تطل على المحيط مباشرة ،

وتضم منات من أماكن المرح والنهو . والمطاعم

والفنادق الفاخرة ، و ...

قاطعتها السنيورا بابتسامة كبيرة :

- خطأ . إتهم يختارونها لأن كل شيء فيها قابل

للبيع والشراء . حتى الذمم والضمان

قانتها ، والتقطت سماعة الهاتف مرة أخرى ،

فسالتها مساعدتها :

- هل يعنى هذا أنك ستجربين اتصالاتك . لإيجاد من

يسعى لاغتيال (أدهم) في سجنه ؟

هزت السنيورا رأسها نفيا ، وقالت :

- كلا . سأترك هذه المهمة لـ (توماس) ورجاله ،

فقد تلقوا أجرهم لأدائها .

سألته في حيرة :

- بمن تتصلين إذن ؟

أطلت من عيني السنيورا ابتسامة كبيرة . وهي تقول :

- بشخص سيعمل على إحباط خطة (أدهم)

وانتقلت لابتسامة إلى شفتيها . وهي تضيف .

- خطته الرئيسية .

ثم تحولت الابتسامة إلى ضحكة .

ضحكة عالية

وقاسية

* * *

فرك (هاتكس) كفيه في توتر واضح ، وهو يتطلع

إلى (أدهم) ، الذي استرخى في مقعده ، وأنسبل جفنيه ،

على نحو يوحى بأنه غارق في نوم عميق ، ثم قال في

شيء من العصبية :

- والان يا مستر (أدهم) هل سنكمل حديثنا ، أم

أنك ستواصل تظاهرك بالنوم ؟

ارتسمت ابتسامة ساحرة على شفتي (أدهم) ، وقال

دون أن يفتح عينيه :

- ما الذي تريد معرفته بالضبط ؟



فرك (هاتكس) كفيه في توتر واضح ، وهو يتطلع إلى (أدهم) ،

الذي اسم مخم . لم . مقعده ..

مال (هاتكس) نحوه . وهو يقول فى لهفة :
- من أنت بالضبط ؟

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة . وهو يفتح عينيه
فى بظء ، قائلا :

- ألم تقرأ كل بيانات الكمبيوتر ؟

قال (هاتكس) فى حدة :

- أنا أسألك .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- وأنا أجيبك .

اتعقد حاجبا (هاتكس) فى غضب . وقال أحد رجاله
فى صرامة ، وهو يجنب مشط مسدسه :

- يبدو أن الأساليب السلمية لن تصلح معه .. دعنى
أتعامل معه بأسلوب آخر .

التفت إليه (أدهم) فى برود . وتطلع إلى عينيه
مباشرة ، قائلا :

- مثل ماذا ؟

كان الرجل قويا . ضخم الجثة ، مفتول العضلات .
صارم الملامح . إلا أنه لم يكد يرتطم بنظرة (أدهم)
الحازمة . حتى ارتجف شيء ما فى أعماقه ، واتسعت
عيناه . وكأنه يواجه وحشا رهيبا . وتراجع بحركة

حادة . كادت تفقده توازنه . فيسقط على ظهره . فتطلع
(هاتكس) فى دهشة ، وهتف :
- تماسك يا رجل .

انتفض الرجل ، وكأنما يفيق من حلم طويل . وصدق
فى وجه (هاتكس) . قبل أن يتحنح . ويقول فى غبطة .
- أتماسك !؟ .. إبنى متماسك بالفعل .

زفر (هاتكس) فى توتر شديد . وأشار إلى الرجل
بالتراجع ، وهو يقول - (أدهم) :

- اسمع يا مستر (أدهم) .. ملفك لدينا يحوى الكثير
والكثير ، حتى أنه ليدعشنى أنهم يمنحونك تأشيرة
دخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

ابتسم (أدهم) ، قائلا فى هدوء :

- إبنى أحمل تأشيرة مفتوحة ، لمدة خمس سنوات .

هز (هاتكس) رأسه ، قائلا :

- ما زال هذا يدعشنى .

ورمق (أدهم) بنظرة جانبية ، مستطردا فى خبث :

- وخاصة أنك رجل مخابرات مصرى

أجابه (أدهم) فى سخرية :

- من قال هذا !؟ جواز سفرى يقول : إبنى رجل

أعمال . وملف فى جمعية رجال الأعمال سيؤكد لك أننى

أمتك بضعة اسهم . في عدد من شركات البترول
والإلكترونيات هنا . وفي (اليهان) . مما يمنحني
الحق في دخول الولايات المتحدة الأمريكية دوما .
لمتابعة أعمالى وشئونى فيها .

مط (هاتكس) شفتيه ، قائلا :

- إنك تستغل نقطة قصور كبيرة . فى نظم الإجراءات
لدينا .

تثاءب (أدهم) فى ضجر . وهو يقول :

- بالتأكد . ولكن أخبرنى . هل سنقضى الوقت كله .
فى مناقشة النظم القانونية لدخول (أمريكا) . أم أن
لديك أسئلة أخرى ؟

زفر (هاتكس) ، قبل أن يقول :

- هل تعتقد يا سيد (أدهم) أننا سنظل نلف ونلدور .
حول بعضنا البعض ، طوال النهار ؟! . لماذا لا نتناقش
فى وضوح . مثل أى رجلين متحضرين ؟ أنى تخبرنى
ما الذى كنت تقصده . عندما قلت . إننا نعمل فى جانب
واحد ؟

صمت (أدهم) لحظة . ثم من نحوه . يسأله فى اهتمام :
- هل سمعت بأمر اختطاف السفير المصرى فى
(واشنطن) ؟

أجابه فى اهتمام :

- بالتأكيد

قال (أدهم) فى حسم :

- ابحث إذن عن الهليوكوبتر الحربية . التى التقطت
المختطفين . وانظر إلى أين يقودك هذا .

التقى حاجبا (هاتكس) فى اهتمام بالغ . وهو يقول :
- دعنى أضمن .. هل سيقودنى هذا إلى الجنرال
(أيدن) . والطيار (فريمان) ؟! ..

أشار (أدهم) بسبابته ، قائلا :

- بالضبط .. وهذا فى البداية لحسب . وبعدها سيقودك
تتبع الأحداث إلى ما هو أكثر خطورة .

بدا توتر شديد على وجه (هاتكس) . وهو يقول :

- سيد (أدهم) .. حديثك هذا بالغ الخطورة ، ويحوى
اتهامات مخيفة .

أوما (أدهم) برأسه إيجابا . وهو يقول فى اكتضاب :
- بالضبط .

قالها . واسترخى فى مقعده فى هدوء شديد . فرمقه
(هاتكس) بنظرة صامتة طويلة ، ثم نهض من مقعده .
وقال للرجل الجالس فى الحجرة :

- انتبه إليه جيدا ، ولو بدرت منه بادرة واحدة ،
توحى لك بالشك . أطلق النار عليه مباشرة .

ارتفعت ابتسامة غامضة على شفتى الرجل . وهو يقول :

- سأفعل بالتأكيد .

اتجه (هاتكس) إلى الخارج ، قائلا :

- سأفحص هذه البيانات بنفسى . ثم أعود إليك يا سيد (أدهم) .

أجابه (أدهم) ساخرا :

- رباه ! كيف سيمكننى احتمال فراقك !

رمقه (هاتكس) بنظرة محنقة ، وتؤكد من أن الأغلال تربط معصمه الأيمن بقائم المنضدة الثقيلة ، قبل أن يغادر الحجرة . مغفما فى سخط :

- حاول أن تحتمله .

وأغلق الباب خلفه فى عنف ..

ولثائية أو ثانيتين ، ران على الحجرة صمت عجيب ، قطعته رجل المباحث الضخم الجثة . وهو يقول :

- السنيورا ترسل إليك تحياتها يا سيد (أدهم)

اتعقد حاجبا (أدهم) بشدة . وهو يلتفت إلى الرجل فى حركة حادة ، وراه يتراجع خطوة الى الخلف . ويصوب إليه ممدسه ، و ..

ويطلق النار .

* * *

١١- الخطر ..

عقد مدير المخابرات العامة المصرية حاجبيه . وهو يطالع التقرير الضخم . الذى وصله من (أمريكا) . ورفع عينيه الى جهاز العرض الخاص به . ليتابع الشريط المسجل . الذى ارسله مندوب المخابرات (ناسد) . قبل أن يهز رأسه ، قائلا :

- لا شك فى أن الأمور تعقدت بشدة هذه المرة . وأصبح من العسير أن يخرج منها (أدهم) سالما .

قال أحد مساعديه فى قلق :

- بل أعتقد أنها أسوأ عملية قام بها سيادة العميد (أدهم) يا سيدى ، فقد اتكشف أمره . وشاهدت (أمريكا) كلها قتاله ، على الهواء مباشرة . ولم يعد بإمكانه الاستمرار فى مهمته هناك .

ازداد انعقاد حاجبى المدير . دون أن ينطق بحرف واحد ، فقال مساعد آخر :

- من رأى أنه ينبغى إرسال شخص آخر ، ليحل محل العميد (أدهم) ، ويتولى عملية البحث عن السفير المختطف .

التفت إليه المدير ، يسأله في اهتمام :

- هل تعتقد هذا ؟

أوما المساعد برأسه إيجابيا ، وقال :

- بكل تأكيد ، فالعميد (أدهم) أصبح الآن ورقة
محرقة ، ولا ريب في أن المباحث الفيدرالية ستحكم
قبضتها عليه ، وستبدل قصارى جهدها ، لمنعها من
الإفلات من بين أصابعها .

ابتسم المدير ، وهو يقول :

- يمكنهم أن يحاولوا على الأقل .

تطلع إليه مساعده في دهشة ، وسأله أدهم في حيرة :

- ماذا تعني يا سيادة المدير ؟

أشار المدير بيده ، قائلا في حزم :

- أعني أنكم تعلمون جميعا أن (أدهم صبرى) حالة
خاصة ، لا يمكن أن تنطبق عليها القواعد العادية
التقليدية ، المعمول بها في عالم المخابرات ، فمن
المضحك أن نقول : إن أمره قد انكشف ، إذ إنه لا يوجد
رجل مخابرات ، في العالم أجمع ، يجهل من هو (أدهم
صبرى) .. إنه الورقة التي لا تحترق أبدا . الاستثناء
الوحيد من قواعد السرية .. بل ويمكنكم اعتباره نوعا
من الدعاية العلنية ، لقوة جهاز المخابرات المصرى .

هتف أحد المساعدين في دهشة مستكرة :

- دعاية علنية ؟!.. أى قول هذا يا سيدى ؟! ومن

يحتاج إلى دعاية علنية ، في عالم يعتمد على السرية
المطلقة ؟

أجابه المدير في حزم :

- كل أجهزة المخابرات في العالم ، تحتاج إلى دعاية
علنية ، حتى وإن لم تعترف بهذا صراحة ، وكل جهاز
مخابرات يبحث عن وسيلة للدعاية عن قوته ، بشئ أو
بآخر ، وكل ما يحرص عليه هو ألا يبدو هذا واضحا ،
فجهاز (الموساد) مثلا يعتمد في عمله على الدعاية
التي تسبقه ، والتي توحى للجميع بأنه أقوى جهاز
مخابرات في العالم ، فهذه الدعاية تجعل من الصعب
على الأفراد العاديين أن يتحدثوا شخصا ، يعلمون أنه
ينتمى إلى (الموساد) ، كما أنه يبيث الطمأنينة في
قلوب من يتم تجنيدهم لحساب الجهاز ، وهذا ينطبق
أيضا على المخابرات الأمريكية ، والبريطانية ،
والروسية .. وإن اختلفت الأساليب ، كإنتاج أفلام حول
أعمال المخابرات ، أو ابتكار شخصية رجل مخابرات
فد . أو حتى تسريب خبر ما إلى الصحف ، يوحى
بمسلوئية جهاز المخابرات عن عمل ضخم ، يثير
الرغبة في النفوس .

قال أحد المساعدين في حيرة :

- وهل ينطبق هذا علينا أيضا ؟

أوما المدير برأسه إيجابا ، وهو يقول :

- بالتأكيد لماذا نقوم بنشر بعض العمليات القديمة

أذن ؟ .. ولماذا في رأيك نكشف بعض عملنا

السابقين ، مثل (رفعت الجمال) (*) ، أو (أحمد

الهوان) (**) .. ليست هذه إحدى وسائل الدعاية ؟

قال مساعد آخر :

(*) رفعت الجمال شاب مصري ، جندته المخابرات المصرية لبحر

في قلب (إسرائيل) في الخمسينات تحت اسم (جاك بينور) ، وقد

يحمل الجنسية الإسرائيلية طوال عمره ، ويفهم علاقات قوية في المجتمع

الاقتصادي والصنعي الإسرائيلي ، وقد نشرت قصته في (مصر) تحت

اسم (رافقت قهجان)

(**) أحمد الهوان جندته المخابرات المصرية بعد حرب ١٩٦٧ م ،

وكان له دور كبير في الإقلاع بواحدة من أقوى شبكات التجسس ، في

فرد حرب الاستنزاف ، كما حار ثقه الاسرائيليين ، وحصل منهم على قدر

هائل من المعلومات ، الذي كثره في تحطيمه وتفريد حرب أكتوبر

١٩٧٣ م وقد نشرت قصته باسم (دموع في عيون وفحة) ، وحمل

فيها اسم (جمعة الشوان)

- هذا صحيح من ناحية الإعلامية يا سيدى ، ولكن

كيف يمكن أن ينطبق على رجل مخابرات في مهمة

رسمية ؟

هز المدير كتفيه ، وهو يجيب :

- يمكنك اعتباره تطويرا ثوريا في قواعد أعمال

المخابرات ، فلا توجد قواعد ثابتة في عملنا ، وإنما كل

شيء يتطور مع الزمن .

واتعقد حاجباه ، وهو يتابع في حزم .

- المهم أنني أتق تماما بقدرة (أدهم صبرى) على

معالجة الأمر ، وإصلاح كل ما حدث من أخطاء أو

مشكلات .

تبادل مساعده نظرة متشككة ، قبل أن يقول أحدهم :

- معذرة يا سيدى ، ولكن هذا يبدو لنا مستحيلا

أشار المدير بسبابته ، قائلا :

- بالضبط ، ولهذا أجده مناسبا تماما لطبيعة (أدهم) .

ثم ابتسم ، مستطرذا :

- هل نسيتم النقب الذى نطلقه عليه ؟

أوما أحدهم برأسه ، مضطحا :

- نعم .. لقب (رجل المستحيل) .

ثم استطرذ في شيء من الضيق :

— ولكن لماذا استسلم لرجال المباحث الفيدرالية ،
وهو يعلم أنهم سيقتصرونه اعتصاماً ، ليعرفوا
ما يخفيه ؟

أجاب المدير في حسم :

— لم يكن أمامه حل بديل ، ف (منى) لا تزال راقدة
في قسم الحالات الحرجة بالمستشفى ، وهم يعرفون
صلته بها ، و (قدرى) مصاب ، على قيد أمتار منه ،
وطبيعة (أدهم) تمنعه من التخلي عنهما ، مهما كان
الثمن

ثم مال إلى الأمام ، متابعاً في هزم .

— وهذا يعنى أن وجود (قدرى) و (منى) فى
(أمريكا) أصبح يمثل نقطة ضعف كبيرة ، بالنسبة
لرجلنا (أدهم صبرى) ، وأفضل ما نفعله من أجله ،
حتى نتحرر يداه ، هو أن نعمل على إخراجهما من
(أمريكا) ، وبحضارهما لاستكمال علاجهما فى
(القاهرة) .

ورفع عينيه إلى أحد رجاله ، متابعاً :

— اتصل بمندوبنا (ناشد) ، واطلب منه أن يتخذ كافة
الإجراءات المطلوبة ، لنقل (منى) و (قدرى) إلى
(القاهرة) . بطلب خاص من الممثل الطبي للسفارة

المصرية فى (واشنطن) ، وارسل إليه جوازى سفر
ديبلوماسيين باسميهما ، لتأجيل كل العقبات المحتملة
وشت قامة ، مضيفاً فى حزم شديد .

— أريدهما هنا قبل صباح الغد بأى ثمن ، وإلا
فستصبح مهمة (أدهم) فى (أمريكا) عسيرة ،
عسيرة للغاية .

وكن على حق تماماً فى عبارته هذه ..
لقد أصبحت مهمة (أدهم) عسيرة بالفعل .
عسيرة إلى أقصى حد ..

* * *

من المؤكد أن موقف (أدهم) ، فى مبنى المباحث
الفيدرالية ، كان بالغ الدقة والحساسية والخطورة
بالفعل ، فهو يجلس داخل حجرة صغيرة ، ويده اليمنى
مقيدة بأغلال حديدية إلى قاتم المنضدة الثقيلة ، وعلى
قيد مترين منه يقف رجل مباحث ضخم الجثة ، مفتول
العضلات ، يصوب إليه مسدساً كبيراً ..

ويطلق النار ..

وتكرر فعل أولى . مال (أدهم) جاثياً ، وهو يهبط من
مقعده ، وينحنى برأسه فى سرعة متفديها مسار
الرصاص الأولى ، التى اختسرت كم سترته ، ومزقت

جزءاً من لحم ذراعته اليسرى . قبل أن تكمل طريقها .
وترتطم بالجدار ..

وفي الثانية التالية مباشرة . التقط (أدهم) المقعد .
الذي كان يجلس عليه من لحظة واحدة . وألقاه نحو
الضخم . فارتطم به في عنف . قبل أن يسقط أرضاً .
والضخم يصرخ غاضباً :
- لن تنجح هذه المرة .

وتراجع ليلتصق بالجدار . وهو يصوب مسدسه نحو
(أدهم) ثانية . ولكن هذا الأخير دفع المائدة الثقيلة
أمامه بكل قوته . وهو يهتف :
- لا تجزم يا رجل .

ارتطمت المائدة بالرجل في عنف . فتأوه في قوة .
مع الألم الرهيب . الذي تصاعد من معدته وساقيه .
ولكن (أدهم) أخرس تأوهاتِه بلكمة كالثبينة في أسنانه
مباشرة . وهو يقول :

- إذن ، فأنت أحد رجال المنيورا .

وخفض قبضته اليسرى . ليضرب بها مسدس
الرجل . وينقيه بعيداً . ثم عاد يرفعها بسرعة مذهلة .
ليهوئ بها على أنف الضخم . ويحطمه تماماً . في نفس
اللحظة التي انسدف فيها عدد من رجال المباحث

الفيدرالية إلى الحجرة الصغيرة . شاهرين أسلحتهم في
توتر بالغ . فصاح بهم زميلهم الضخم . وهو يمسك
أنفه المحطم . والدماء تفرق وجهه ويديه :

- لقد حاول قتلني . والفرار من هنا .

اتعقد حاجباً (أدهم) . وهو يقول :

- هذا الوغد أراد أن يقتلني . لحساب جهة ما .

صرخ رجل المباحث في ثورة :

- هل ستصدقونه ؟ .. هل ستصدقون هذا العربي ؟

نقل رجال المباحث عيونهم بين الرجلين في شك
متوتر . ثم قال (هاتكس) :

- محاولة سخيفة . لا تليق بك أبداً يا سيد (أدهم) .

قال (أدهم) في صرامة :

- إذن فقد صدقت هذا الوغد .. يا للسخافة ! .. هل لك
أن تفسر لي إذن كيف خططت للفرار . بعد أن أقتل هذا
الحقير ؟ .. كيف سأخرج من مبنى المباحث الفيدرالية
كله ؟

أجاب (هاتكس) في حزم :

- لقد رأيته تخرج من القاعدة الجوية مع زميلتك .
وكان أسلوبيك في فعل هذا مدهشاً .
هتف الضخم :

- هل رأيت ؟ .. إنه كالب حكير .

اتعتقد حاجبا (هاتكس) ، وأشار إلى أحد رجاله ،
قائلا :

- معذرة يا سيد (أدهم) . كنا ننوي التعامل معك
بأسلوب متحضر يا سيد (أدهم) ، ولكن محاولتك هذه
تضطرنا إلى اللجوء إلى أسلوب آخر
أشار (أدهم) إلى الضخم ، قائلا :

- لا تلسد الأمر كله يا (هاتكس) .. استجوب هذا
الوحد ، وسنله لماذا ..

قبل أن يتم عبارته ، اندفع أحد الرجال نحوه بغتة ،
ولفح في وجهه سيلا من رزاز قوى ، عبر بخاخة
قوية ..

وتراجع (أدهم) بسرعة ، إلا أن الرائحة النفاذة
هاجمت عقله في عنف ، فأحاط به ضباب كثيف ، وهو
يهتف :

- أيها الـ ...

ولم يتم عبارته ..

لم يتمها : لأن ذلك الضباب تكاثف حول خلايا مخه
في سرعة مذهلة ، وسيطر على عقله كله في لحظة
واحدة ، و ...

وسقط ..

سقط (أدهم صبرى) فاقد الوعي ، وسط تلك الحجرة
الصفيرة ، في مبنى المباحث الفيدرالية ، وسط
(هاتكس) ورجاله ..

ووسط الخطر ..

خطر الموت ..

* * *

فتح (قدرى) عينيه في ضعف ، وتطلع إلى
المرمضة ، التى تحفته بحقنة جنوكوز كبيرة وازدرد
لعابه في صعوبة ، قبل أن يسألها :

- هل انتهت العملية ؟

ابتسمت وهي تجيب :

- نعم .. أنت هنا منذ ساعة تقريبا ، ولقد أجرى لك
الدكتور (سميث) جراحة رائعة ، ويقول إنه يمكنك
الخروج من هنا بعد أسبوع واحد .

سألها متهاككا :

- ألا يمكننى العودة إلى منزلى ، قبل هذا الموعد ؟

تردبت لحظة ، قبل أن تقول :

- لست أعتقد أنك تستطيع العودة إلى منزلك مباشرة ،
فما زالت المباحث الفيدرالية تطالب باستجوابك ، وهناك

شرطيان يقومان على حراسة الحجرة طوال الوقت .

ابتسم في ضعف ، مغمغما :

- هل بلغت أهميتي هذا الحد ؟!

تطلعت إليه مشفقة . وهي تقول :

- يسعدني أنك مازلت تحتفظ بروح معنوية مرتفعة .

ربت على كرشه الضخم ، قائلا :

- ولكن معدتي خالية ، وهذا يصيبني بنوع من

الإحباط ، لا يمكن علاجه إلا من خلال وجبة دسمة .

هتفت في دهشة :

- وجبة دسمة ؟! ولكن هذا مستحيل ..! دكتور

(سميت) لا يمكن أن يسمح بهذا قبل شهر كامل .

اتسعت عيناه ، وهو يقول في ذعر :

- شهر كامل ؟! في هذه الحالة ستضطرون إلى

تحنيط الوجبة الدسمة ، ودفنها إلى جوار جثتي ،

وشاهد قبري يقول : « عاش سعيدا ، ومات جائعا » .

ابتسمت ، قائلا :

- إن هذا ليؤسفني حقاً ، ولكنني لا أملك من الأمر شيئاً .

مط شفتيه في غضب ، قائلا :

- كم أبغض الأطباء .

دخلت الحجرة ممرضة سمراء ، في هذه اللحظة .

وقالت للممرضة الأولى في هدوء :

- دكتور (سميت) يطلبك .

أجابتها الممرضة في اهتمام :

- سأذهب إليه على الفور .

ولم تكد تغادر الحجرة ، حتى التفتت السمراء إلى

(قدرى) ، وسألته بالعربية :

- كيف حالك الآن ؟!

تطلع إليها (قدرى) في دهشة ، قبل أن يهتف :

- (جيهان) .. يا إلهي !.. لم أتعرفك للوهلة

الأولى .. البشرة السمراء والشعر الأسود أبداً ملامحك

تماماً .

اقتربت منه ، وهي تهتسم ، قائلة :

- إنه مجرد تكرر بسيط ، لو قارنته بالمعجزات التي

يصنعها (آدم) .

سألها في لهفة :

- أين هو ؟.. ماذا فعلوا به ؟

أجابته في شيء من المرارة :

- ما زال في مبنى المباحث الفيدرالية ، ولا ريب في

أن معاناته شديدة هناك .

عض (قدرى) شفتيه قهراً ، وهو يقول في ألم :

- لقد استسلم من أجلنا أنا و (منى) .

أومات برأسها موافقة ، وقالت :

- هذا صحيح : لذا فقد اتخذت القيادة فى (القاهرة)

قرارا بإعادتكما إلى (مصر) ، بأسرع وسيلة ممكنة .

حتى يصبح هو حر الحركة .

اتسابت الدموع من عينيهِ . وهو يقول :

- كم كنت أتمنى البقاء إلى جواره فى محنته

قالت فى حزم :

- عودتك إلى (القاهرة) تساعد على التغلب عليها

بالتأكيد

أوما برأسه ، قائلا ودموعه تفرق وجهه :

- سأفعل أى شئ فى الدنيا من أجله .

ومسح دموعه ، قبل أن يسأل :

- ومتى نرحل إلى (القاهرة) ؟

أجابته فى هدوء :

- فى أقرب فرصة ممكنة

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، كانت

المرضة الممنونة عن قسم الطوارئ بالمستشفى تقرأ

تصريحاً خاصاً ، أعطها إياه رجل هادئ الملامح ،

يرتدى حلة أبيض ، ورباط عنق زاهى

اللون . ثم ترفع عينيها إليه ، وتسأله :

- من ترغب فى اصطحاب المريضة (منى توفيق)

الآن ؟

أجابها فى هدوء :

- لو سمحت .

راجعت التصريح مرة أخرى ، قبل أن تقول .

- ولكن المريضة مازالت فاقدة الوعي ، وسيحتاج

نقلها إلى وسائل خاصة ، وسيارة إسعاف مجهزة .

أوما برأسه ، قائلا :

- لقد اتخذنا كل الاستعدادات اللازمة ، ولدينا خبراء .

وسيارة الإسعاف تقف بالخارج .

مضت شفيتها ، وكأنما لا يروق لها ما يحدث . وقالت :

- بقى أمر واحد .

تطّلع إليها متسائلاً ، فأضافت فى حزم :

- المباحث الفيدرالية أخذت ضرورة عدم خروج

المريضة ، دون موافقة صريحة من المفتش

(هاتكس) ، أو من ينوب عنه ، لأنهم يحتاجون إليها ،

فى قضية خاصة .

ناولها تصريح يحمل خاتم المباحث الفيدرالية ، قائلا :

- ها هوذا .

طلعت التصريح لثاني في شىء من الشك . ثم لم
تلبث أن هزت رأسها ، قائلة :

- اعتقد أن كل شىء على ما يرام .

ثم اعتدلت ، مستطردة في هزم :

- يمكنكم أخذ المريضة .

ابتسم صاحب الملامح الهادئة . واستدار يشير إلى
اثنين من الرجال . تقدم في سرعة نحو حجرة
(منى) ، وراحا يؤذين عنهما في سرعة ودقة . تشف
عن مدى احترافهما ، في هذا المجال ، ثم دفعا فراش
(منى) أمامهما إلى المصعد ، ولم تمض دقائق
معدودة . حتى كانا يحملانه إلى سيارة الإسعاف
المجهزة ، وصاحب الملامح الهادئة يحتل مكانه إلى
جوار سائقها ..

ومن نافذة حجرة (قدرى) شاهدت (جيهان) هذا
المشهد ، وغمقت في حيرة :

- عجب ! إنهم ينقنون (منى) ! . كنت أعتقد أنهم
لن يفعلوا هذا قبل ..

بترت عذرتها بغتة . عندما وقع بصرها على سائق
سيارة الإسعاف المجهزة . واتسعت عيناها في ذعر ،
هاتفة :

- رياه ! إنه لا يرتدى الزي الرسمي المفترض .
ثم انطلقت تعذو ، صائحة :

- إنهم يختطفونها .

اتسعت عينا (قدرى) في هلع . وهو يهتف

- يختطفونها ؟ ! يا الهى ! . (منى) . (منى)

أما (جيهان) ، فقد انطلقت بأقصى سرعتها ، عبر
ممرات المستشفى ، وعندما بلغت الباب الخارجى ،
كانت سيارة الإسعاف قد انطلقت بالفعل ، فجرت خلفها ،
صائحة :

- انتظر يا هذا .. انتظر .

لمحها السائق في مراة السيارة الجانبية ، وسأل
صاحب الملامح الهادئة في قلق :

- إنها واحدة من ممرضات المستشفى . هل
نتوقف ؟

هز الرجل رأسه في سوء . وهو يحيب

- كلا . امض في طريقك .. لم يعد أمرهم يعنيننا

دعهم يبلغون الشرطة لو أرادوا .

ثم ارتسعت على سقفية ابتسامة ظافرة . وهو
يستطرد :

- السنيورا لا يعنينا هذا كثيرا .

ومع قوله ، ضغط السائق دواسة الوقود بالسيارة .
ليزيد من سرعتها أكثر ، فشفت (جيهان) ، وهي تعدو
خلفه بأقصى سرعتها ، وتهتف :

- يا إلهي ! لن يعبر لى (أدهم) أبدا ، لو سمحت
لهم بالفرار بها .. لن يغفر لى أبدا .

وانحرفت إلى اليسار ، وانطلقت تعدو بمحاذاة سور
المستشفى ، دون أن ترفع عينها عن السيارة ، التي
انطلقت تعبر الطريق . الذي يدور حول المستشفى ، ثم
قفزت (جيهان) متعلقة بالسور ، وتساقطت في سرعة
ومهارة ، ولم تكد تبلغ قمته ، حتى رأت السيارة مندفعة
نحوها ، فقفزت إلى مقلها ، و ..

وارتطمت بسقف السيارة في عنف ، وهي تتحرف
بغثة ، لفقدت (جيهان) توازنها ، وحاولت التثبيت
بمصباح سيارة الإسعاف ، ولكن يدها انزلقت عنه ،
فتراجع جسدها في حركة حادة ، ولكنها نجحت في
التعلق بحافة السيارة ، في نفس اللحظة التي هتف فيها
صاحب الملامح الهادة في المسبق .

- اضغط الفرامل بسرعة .

ضغط السائق فرامل اسيارة بحركة حادة مباغثة .
فشفت (جيهان) - وجسدها يندفع إلى الأمام في قوة ،



وحاولت التثبيت بمصباح سيارة الإسعاف ، ولكن يدها انزلقت عنه

عنه ، فتراجع جسدها في حركة حادة ..

وارتطم رأسها بمصباح السيارة ، الذى تحطم فى قوة ..
وهى تتدحرج وتهوى إلى الأرض ..

وفى نفس اللحظة ، التى ارتطم فيها جسدها
بالأرض ، انطلق السائق بالسيارة ..

وعلى الرغم من الدور العنيف ، حاولت (جيهان)
الانطلاق مرة أخرى خلف السيارة ، إلا ان ساقها لم
تطاولها ، فهتفت فى مرارة ، وهى تقاوم دموع
الفشل :

— لن يغفر لى أبداً .

وعضت شفتيها فى قهر ، والسيارة التى تحمل
(منى) تهبط ..

وتهبط ..

وتهبط .



١٢ - القتل بالجملة ..

ارتسمت على شفتى (تشارلز) ابتسامة كبيرة ، وهو
يقول لـ (توماس) ، فى لهجة تحمل كل الظفر :

— الخطة تسير على ما يرام .

سأله (توماس) فى اهتمام :

— هل أرسلوه إلى السجن المركزى ؟

أوماً (تشارلز) برأسه إيجاباً ، وقال :

— إنه فى طريقه إلى هناك الآن ، وعندما يصل

سيكون رجالنا فى استقباله .

سأله (توماس) فى حزم :

— أنت واثق من ولائهم لنا ؟

أطلق (تشارلز) ضحكة ساخرة ، قائلاً :

— ما الذى تقصده بولائهم لنا يا رجل ١٢ . الولاء

الوحيد الذى يحمله أمثال هؤلاء للنقود وحدها ..

الدولارات .. تلك الأوراق الخضراء الجميلة ، التى يبيع

من أجلها الشقيق شقيقه ، وتتحرق الأم وليدها .. ولقد

حصنوا على الكثير ، ويأملون فى الحصول على الأكثر ،

بعد أن يقضوا عليه .

تطلع اليه (توماس) لحظة في صمت ، قبل أن
يتراجع في مقعده ، ويسأله :

- ما الذي سيفعلونه بالضبط ؟

قال (تشارلز) ، وهو يغمز بعينه .

- سيحسبون استقباله .

انعقد حاجب (توماس) في ضيق ، فاعتدل

(تشارلز) ، واستعاد جديته . وهو يقول :

- لم أحدد لهم خطة بعينها ، ولكنني طلبت منهم

التخلص منه بأفضل وسيلة ممكنة .

هتف (توماس) مستكرا :

- فقط

ثم هب من مقعده . مستطردا في حدة :

- يا للعيب !

احتقن وجه (تشارلز) ، وهو يردد :

- العيب ؟! أي عيب يا (توم) .. الرجال أدرى

بظروفهم . ولا يمكننا إلزامهم بخطة محدودة

أجابه (توماس) في غضب . وهو يلتقط سماعة

الهاتف .

- بل من الضروري أن تفعل . لا يمكنك أن تعتمد

على الارتجاف ، في مواجهة مثل هذا الرجل

وضغط أزرار الهاتف . وهو يغمغم في سخط .

- ألم تر كيف يعمل ؟

أجابه (تشارلز) في عصبية :

- الرجل سيصل إلى السجن قبل أن يستعيد كامل

وعيه يا (توم) . ولن يصعب على الرجال التخلص منه

عندئذ

قال (توماس) في صرامة :

- لو أنك أحسنت قراءة منفه . لوجدت أنه لا يوجد

أي شيء مضمون ، في التعامل مع أمثاله

قال (تشارلز) :

- ولكن يا (توم) ..

أشار إليه (توماس) بالصمت ، وهو يقول عبر

الهاتف :

- مرحبا يا (بيرت) .. إنه أنا .. (توم) .. (توماس

كلارك) . قل لي يا رجل : أمازلت تعمل في السجن

المركزي ؟

استمع إلى الجواب في اهتمام ، قبل أن يقول :

- عظيم .. إنني أحتاج إليك هناك . متى تبدأ

نوبتك ؟ في العاشرة مساء ؟! فليكن .. احضر لزيارتي ،

قبل أن تذهب إلى هناك . سأكون في انتظارك .

سأله (تشارلز) عندما أنهى الاتصال :
- من (بيرت) هذا ؟

نوح (توماس) بيده ، قائلا :
- الشخص القادر على التخلص من (أدهم صبرى)
بحق ، داخل السجن المركزى .
ثم سأله بفتة :

- ولكن أخبرنى : ما الذى كنت تقصده ، عندما قلت :
إنه سيصل إلى السجن ، قبل أن يستعيد كامل وعيه ؟
أجاب (تشارلز) :

- لقد اضطروا لتخديره فى مبنى المباحث الفيدرالية .
بعد أن هاجم أحد رجالهم فى عنف .

اتسعت عينا (توماس) ، وهو يهتف :
- خدروه ؟! . ولماذا لم يتم استغلال فترة تخديره
للتخلص منه ؟

أجاب (تشارلز) فى توتر :
- ذلك المفتش (هاتكس) لم يفارقه لحظة واحدة .
واصر على حراسته بنفسه ، حتى يصل إلى السجن
المركزى .

انعقد حاجبا (توماس) ، وهو يردد :
- المفتش (هاتكس) ؟

وصمت لحظات مفكرا فى عمق ، قبل أن يقول :
- فى المرة القادمة ، لا تجعل هذا يوقفك .. اقتل
المفتش أيضا ، لو اقتضى الأمر ، ثم تخلص من غريمك .
ثم عاد إلى مقعده ، مستطرذا :
- وهذا ما سأطلب من (بيرت) أن يفعله الليلة ، لو
أنه نجا (أدهم صبرى) من أسلوب القتل العشوائى
هذا .

نعم . هذه هى العبارة الصحيحة ..
لو أنه نجا ..
لو ..

* * *

« استيقظ يا رجل .. استيقظ .. »

استعاد (أدهم) وعيه فى ببطء ، وتلك العبارة تتسلسل
إلى عقله ، لفتح عينيه ، وتطلع لحظة إلى وجه المفتش
(هاتكس) ، قبل أن يستعيد عقله صفاءه نسبيا ،
ويبتسم قائلا فى سخرية :

- عجباً !.. هل يمكن أن ينتقل المرء إلى الجحيم
بهذه السرعة ؟

تراجع المفتش (هاتكس) فى مقعده ، وهو يقول فى
هدوء :

- من يدري يا سيد (أدهم) ؟ ربما كان الجديم
أفضل من هذا المكان

اعتدل (أدهم) جالسا ، وانتبه لأول مرة إلى أنه
داخل زنزاة صغيرة مغلقة . فقال متهمكا :

- ما هذا المكان الفاخر ؟ . أهو أحد فنادق الدرجة
الأولى ؟

أجاب (هاتكس) :

- بل أفضل من هذا .. إنه سجن (نيويورك)
المركزي ، ذو الخمسة نجوم .. قل لي : أين تحب تناول
طعام الإفطار ؟ هنا أم في حجرة الإعدام .

ابتسم (أدهم) في خبث ، قائلا :

- لا توجد حجرة إعدام ، في سجن (نيويورك)
المركزي :

ارتفع حاجبا (هاتكس) في دهشة ، قبل أن يقول :

- هل تحفظ جغرافية المكان ؟

هز (أدهم) كتفيه قائلا في استهتار :

- ليس بدرجة كافية .

رمقه (هاتكس) بنظرة شك طويلة . قيل أن ينهض
قائلا .

- هل تعلم يا سيد (أدهم) ؟ . إنني أميل إلى تصديق

قصتك . فقد راجعت الموقف كله ، ووجدت أن رجلا
مثلك لن يحاول الفرار من مبنى المباحث الفيدرالية
بخطبة سائجة مباشرة كهذه .

قال (أدهم) ساخرًا :

- يا للروعة !.. هل المفترض أن ألهب كفى
بالتصفيق ؟

هز (هاتكس) رأسه نفيا ، وهو يقول في جدية :

- بل يكفي أن تجيب أسئلتي ، فقد حاول أحد رجال
قتلك ، لحساب جهة ما ، وأنا واثق من أنك تعرف هذه
الجهة ، وتعرف لماذا تسعى للتخلص منك ، كما أن
موقفك في القاعدة الجوية ما زال يؤثر حيرتي .

ومال نحوه قليلا ، ليسأله في اهتمام :

- ما الذي تسعى إليه بالضبط يا سيد (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) ساخرًا ، وهو يجيب :

- الشهرة .

اعتدل (هاتكس) ، ورمقه بنظرة طويلة ، قبل أن

تنطق من أعماق صدره زلجرة قوية ، ويقول :

- فنيكن يا سيد (أدهم) . هذا شأنك .. لا يمكنني

إجبارك على أن تقص على ما لديك ، على الرغم من

أنك تصر على أننا نقاتل في جانب واحد .

قال (أدهم) ، وهو يسترخى على فراش الزنزانة فى هدوء :

- هذا صحيح .

قال (هاتكس) فى حدة :

- ألا يتبادل الحلفاء المعلومات على الأقل ؟

صمت (أدهم) لحظة ، ثم أسبل جفنيه ، قائلا :

- هل تعلم أن الجنرال (أيدن) لم يكن وطنيا

مخلصا ؟

جلس (هاتكس) ، وهو يسأله فى لهفة :

- أليس لديك دليل على هذا ؟

أجاب (أدهم) :

- لو أنك بحثت جيدا ، فستعثر على الكثير من

الأدلة .. راجع مثلا ملفات التدريب ، وخط سير طائرة

(فريمان) الهليكوبتر ، وسيقودك هذا إلى الكثير .

اعتقد حاجبا (هاتكس) ، وهو يسأله :

- وماذا أيضا ؟

ابتسم (أدهم) ، قائلا :

- هذا يكفى الآن .

اعتصر (هاتكس) شفثيه فى غضب ، وهو يقول :

- اللعنة !

ثم سأله فى عصبية :

- أأنت هنا بسبب عملية اختطاف السفير ؟

لم يجب (أدهم) بكلمة واحدة ، فتابع (هاتكس) :

- لماذا لم تطلب التدخل بصفة رسمية ؟

ارتسمت على شفثى (أدهم) ابتسامة باهتة ، وهو

يسبل جفنيه تماما ، فأضاف (هاتكس) فى لهفة .

- ولكنك رجل مخابرات مصرى أليس كذلك ؟

فتح (أدهم) عينيه ، وتطلع إليه ، قائلا :

- ألا تشعر بالملل أبدا أيها المفتش ؟

اعتقد حاجبا (هاتكس) فى غضب ، وهو يقول :

- يا للسخافة !.. ألا يمكنك أن تبدى شيئا من

التعاون ؟!.. ألا تترك أنك تدين لى بحياتك .

تطلع إليه (أدهم) بدهشة متسائلا ، فتابع محتدا :

- نعم .. تدين لى بحياتك . لقد أدركت من محاولة

الرجل قتلك ، فى مبنى المباحث الفيدرالية ، أنك

مستهدف من قبل جهة ما ، فأصررت على أن أصحابك

بنفسى إلى هنا ، وحتى وضعوك داخل زنزانتك .. هل

تعلم ما كان يمكن أن يصيبك ، لو لم أفعل ؟!

اعتدل (أدهم) جالسا ، وهو يقطع إليه فى اهتمام ،

فأضاف الرجل فى غضب :

- إنك هدف لجهة قوية .. قوية للغاية ؛ بدليل أنها استطاعت اختراق المباحث الفيدرالية ، وشراء بعض رجالها ، ولتعلم أن السعر هنا يقل كثيرا عن سعرنا ، والذي يستطيع شراء رجل واحد من رجال المباحث الفيدرالية ، يمكنه شراء نصف حراس السجن دفعة واحدة ، وهذا يعني أنك ستواجه خطرا داهيا هنا .. هل تدرك هذا ؟

صمت (أدهم) لحظة ، وهو يتطلع إليه في اهتمام ، قبل أن يقول :
- صدقتي أيها المفتش (هاتكس) .. يسعدني للغاية أن ألتقي برجل مثلك .

بُهِت (هاتكس) للعبارة ، فتطلع إليه في دهشة ، وهو يسأله :

- ماذا تعني ؟

أجابه (أدهم) في جدية :

- في هذا العالم القاسي المعقد ، من العسير أن يلتقي المرء برجل شريف مثلك ، يسعى إلى الحقيقة والعدل وحدهما ، وعندما يحدث هذا ، فمن الضروري أن يثبذ المرء على يده في احترام .

ثم مد يده إلى المفتش (هاتكس) ، وصافحه في قوة ، قائلا :

- اهنتك .

تطلع إليه (هاتكس) في حيرة ، قبل أن يسأله في حذر :

- هل تسخر مني ؟

أجابه (أدهم) في سرعة وحزم :
- مطلقا .

كان صادقا في وضوح ، حتى أن (هاتكس) شعر في أعماقه بشيء من الفخر ، لأن رجلا مثل (أدهم صبري) يرى أنه أهل للاحترام ، ولكنه تابع في خفوت :

- ألا يكفي هذا لتعاون معي ؟

هز (أدهم) رأسه نفيا ، وهو يقول :

- لو أنك في موضعي ، هل كنت ستتخلى عن قواعدك لمجرد الامتنان لشخص ما ؟

صمت (هاتكس) لحظة ، قبل أن يجيب :

- كلا ..

ثم نهض ، وأشار إلى الحارس ليفتح باب الزنزانة ، وهو يقول :

- لمست أملك الآن سوى أن أتصحبك باتخاذ الحذر ، فوجودك هنا يحتاج إلى يقظة دائمة ، وإلى النوم بنصف

عين ، فلو أغلق مثلك عينيه هنا لحظة واحدة ، لن
يمكنه أن يفتحهما أبداً .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

— أشكرك على النصيحة .

غادر (هاتكس) الزنزانة ، وترك الحارس يفلقها في
إحكام ، وهو يقول :

— أتمنى أن أراك غذا .. على قيد الحياة .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول في هدوء .

— بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

راقبه (أدهم) ، وهو يبتعد ، ويغادر المنطقة كلها ،

ثم تحسّن رتاج الباب في هدوء ، مخفياً :

— إننى أصدقك أيها المفتش .. لا بد من النوم هنا

بنصف عين .

كان الرتاج من نوع متطور ، لا يمكن فتحه إلا

باستخدام مفتاحه الخاص ، فهزّ (أدهم) كتفيه ، وعاد

إلى فرائش الزنزانة ، واستلقى عليه ، وهو يدرس الأمر

كله ..

إنه الآن داخل زنزانة صغيرة مغلقة ، فى سجن

(نيويورك) المركزى ..

هناك من يستهدفه بالفعل ..

وربما منذ البداية ..

كلما راجع الأحداث ، تبين له أنه الهدف الأساسى فى
العملية كلها ..

وأن السنيورا هى التى تسعى خلفه ..

وبمنتهى الإصرار ..

وهذا يقوده إلى اسم واحد ..

(سونيا جراهام) ..

لم يدرك لماذا يرفض طردها من ذهنه ، على الرغم
من أن كل قواعد العقل والمنطق تؤكد أنها ليست
المينولة عن هذا ..!

ولكن كل الأحداث تحمل أسلوبها ..

لمستها ..

رائحتها ..

« إذن فأنت ذلك الأسطورة ، الذى يتحدثون عنه .. »

قطعت العبارة الفظة سيل أفكاره ، فأدار عينيه فى

بطء إلى قضبان الزنزانة ، ورأى زنجياً ضخماً الجثة ،

يقف محدقاً فيه من خلفها ، فقال فى صرامة :

— ابتعد أيها الوغد .. إنك تحجب عنى الهواء .

ابتسم الزنجى فى سخرية ، قائلاً :

— وسليط اللسان أيضاً .. هذا يبدو أشبه بفيلم

سينمائى رخيص .

انتبه (أدهم) فجأة إلى أن ذلك الزوجي الضخم
يرتدى زى السجن التقليدي ، وعلى الرغم من هذا فهو
يقف خارج زنزانتة ، في غير المواعيد الرسمية ..
ثم أنه يحمل زجاجة كبيرة ، مملوءة بمائل وردى
اللون ، فاعتدل في حركة حادة ، وسمع الزوجي يستطرد
في شراسة :

- هل تحب الأفلام الرخيصة أيها الأسطورة ؟ .. دعنى
أريك مشهدا يصلح لها .

قالها ، وألقى الزجاجة على أرضية زنزانة (أدهم)
في عنف ، فتعطمت بدوى شديد ، وتناثر ذلك السائل
الوردى على مساحة واسعة ، وتصاعدت رائحة البنزين
قوية ، والزوجي العملاق يقول ساخرا شامتا :

- المنبور اترسل إليك تحياتها .
وأطلق ضحكة وحشية عالية ، وهو يشعل قذاحته ،
مستطردا :

- تحياتها الأخيرة .

هتف (أدهم) :

- أيها الوغد الحقير .

ولكن الزوجي ألقى القذاحة المشتعلة ، فوق بقعة
البنزين الكبيرة في منتصف الزنزانة المغلقة ..
واشتعلت النيران .

انتهى الجزء الأول بحمد الله ويليه الجزء الثانى

(اتحاد القتل)

* * *

ولم الإبداع : ٣٦١٩



د. نبيل فاروق

**رجل
المستحيل
على يد منظمة
روايات
بوليسية
للمشجبين
والأشهر
بألف هذه
المغامرة**

106

الشمع في مصر ٢٠٠
وما يقارن بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الأفعى

- من هي زعيمة المنظمة التجسسية الجديدة، التي يطلقون عليها اسم (السنيرة)؟
- ما سر اختطاف السفير المصري في قلب (واشنطن)؟
- كيف يواجه (الاهم) و (جيهان) وحدهما عمالة القتل والجريمة بقيادة (الأفعى)؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل.. (رجل المستحيل) ..



العدد القادم: اتحاد القتلة